عبدالعزيز آل زايد

وَسوَسَةُ إبلِيس

قَصَصٌ مُتَخَيَّلَةٌ عَنِ الشَّيطَانِ

قَصَصُ قِصَار

دار الظاهرية

وَسْوَسَةُ إِبْلِيس

الطبعة الأولى
١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢ م
©جميع الحقوق محفوظة
رقم الإيداع في مكتبة الكويت الوطنية: 2536-2021
ردمك: 978-9921-770-82-7

الكويت- الجهراء- القيصرية القديمة
كابيتول مول- السرداب محل ٢٤
الموقع الإلكتروني: www .daradahriah .com
البريد الإلكتروني: daradahriah@gmail .com
هاتف: 99627333 965+ - 51155398 965+

الموزعون المعتمدون

الكويت: دار أندلسية للنشر والتوزيع - 94747176 (965+) - darandalusia@hotmail.com
الكويت: مركز طروس للنشر والتوزيع - 90090146 (965+) - torousq8@gmail.com
الرياض: دار التدمرية للنشر والتوزيع - 114925192 (966+) - tadmoria@hotmail.com
المدينة المنورة: مكتبة الميمنة المدنية - 558343947 (966+) - daralmimna@gmail.com
جدة: مكتبة الشنقيطي للنشر والتوزيع - 504395716 (966+) - hassan_hyge@hotmail.com
مكة المكرمة: المكتبة الأسدية للنشر والتوزيع - 125273037 (966+) - alasadi2000@hotmail.com
مصر الجديدة: مفكرون الدولية للنشر والتوزيع - 01110117447 (2+) - mofakroun@gmail.com
اسطنبول (منطقة الفاتح): دار الأصالة - 2125118547 (90+) - asalet@asaletyayinlari.com.tr

لا يُسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو نقله بأي شكل أو واسطة -أو أي جزء منه-، سواء كانت إلكترونية أو ميكانيكية، بما في ذلك التصوير بالنسخ (فوتوكوبي) أو التسجيل، أو التخزين والاسترجاع، دون إذن خطي من دار الظاهرية للنشر والتوزيع.

عبد العزيز آل زايد

وَسوَسَةُ إبليس

قَصَصٌ مُتَخَيَّلَةٌ عَنِ الشَّيطَانِ

قَصَصٌ قِصَارٌ

دار الظاهرية للنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحیم

الإهداء

إلى المعذَبين من وساوس إبليس..

إلى المهمومين من كيد الشيطان..

إلى كل من لدغته عقارب الشر..

وأيقن أنّ في السماء رحمة..

لهم ولكل من يقرأ نُهدي متعة السرد..

عبدالعزيز

ahzaid@hotmail.com

(1)
مكر العجوز

بين قريتين متجاورتين يسكن حطاب فقير كوخًا صغيرًا هو وابنه البار يعقوب، الذي فقد أمه في بواكير حياته ومن بعدها فقد أباه، فبات حزينًا متألمًا مما حلّ به من يتم، لم يترك له أبوه من أموال الدنيا غير ثلاث دراهم جعلها في كيس صغير لوقت الضيق والعَوَز، لم يرغب يعقوب أن يجازف بدراهم أبيه، وقد أبلغه أن هذه الدراهم البيضاء لليالي السوداء، لهذا رمق ما تركه له والده وأخذ يتفكر ماذا سيصنع بما لديه؟، لم يترك له أبوه بعد رحيله إلا حبلًا من ليف، وفأسًا من فولاذ لتقطيع الأشجار، وبقرة حلوبًا يحتسي أكوابًا من لبنها ويصنع منه الجبن، بالإضافة إلى كوخ صغير حقير لايقيه من برد ولا حر.

ظلّ يعقوب يرمق من نافذة الكوخ أشجار جارهم التي تميد مع الريح كما تميد السفينة في البحر، وبينما هو يُحدّق في الأشجار والأطيار، رأى ابنة جاره بديعة الخِلْقة مليحة التقاسيم، أبصرها، فحركت فيه ماء الحياة وشعر اتجاهها بالسعادة والاغتباط، حتى أنه سرح بخياله للبعيد ورجى أن تكون له زوجة وأمًا لأبنائه المقبلين، غير أنه لم يكن ليجرؤ على ذلك وهو لا يكاد يسد رمق جوعه، لفّ يعقوب

قرص الخبز في منديل وحمل على عاتقه الفأس وفي يمينه أمسك بالحبل ناويًا الاحتطاب كما كان يصنع أبوه؛ فيمم وجهه ناحية الغابة في سرور.

تخير من الأشجار مثل ما كان يتخير والده، حيث كان يهمس له أيام حياته: "بني ليست كل الأشجار سواء، وتختلف جودة الحطب باختلاف مصادرها"، أخذ يعقوب يضرب جذع الشجرة بفأسه وصدى صوت التقطيع يدوّي في الجبل المجاور بإزاء البئر، كان في ذلك الجبل كهف عميق لم يجرؤ أحد دخوله، قيل إنه كهف مسكون بالجن، وهو مأوى رجل الجبل الذي يخشاه الجميع، وما كان رجل الجبل هذا إلا عجوزًا طاعنًا في السن، لم يهنأ له النوم من فرط ضجيج الفتى يعقوب، حتى أرسل طائره الأثير ليخبره ما يجري، وما كان ذلك الطائر إلا بومة بيضاء كالثلج مرقطة بالسواد لها عيون صفراء واسعة ترهب الناظرين، حلّقت هذه البومة في السماء، وسرعان ما عادت لتخبره الخبر، لم يكن أحد يفهم لغتها سواه، حيث أسرّت له في أذنه ما يجري، فقال العجوز رجل الجبل: "لم نهنأ بالنوم حتى مات الحطاب، وما لبث أن عاد ابنه ليصنع صنيعه".

لم يكن هذا العجوز في حقيقة أمره إنسيًّا، إنما كان شيطانًا من شياطين إبليس، تناول عصاه ليختبر الحطاب الابن، فأخذ يتسلل إلى موقع الاحتطاب، وكان رنين الفأس وتقطيعه يزداد كلما تقدم ناحيته،

وحين نظر له من حيث لا يراه، رأى إفطاره مُعَلّقًا في شجيرة بمنديل، تبسم العجوز في مكر، وخطف المنديل بعصاه دون أن يشعر يعقوب، ولما فتحه لم ير فيه غير قرص جشب من الشعير، ضحك العجوز واختبأ خلف الأشجار وهو في أنس يرقب غضبة الفتى.

استمر يعقوب في قطع الشجرة، وما هي إلا لحظات حتى وقعت محدثة دويًا مريعًا، تنهد يعقوب الذي أرهقه العمل والاحتطاب، ودنا من الشجيرة ليتناول إفطاره، فلمّا حدّق بها، ولم ير إفطاره، قال: "الحمد لله الذي أعانني على هذه الشجرة، وإني لست جائعًا، لعلّ فقيرًا أحوج مني أخذه ليسد به رمق جوعه"، ثم ألقى الدلو في البئر، فأخذ منه ما يبرد به أحشائه ويغسل به وجهه، انتعشت أنفاس يعقوب وتنشطت يداه فعاد يكمل تقطيع الشجرة، هنا اغتاظ الشيطان المتقمص صورة العجوز، ورجع إلى المغارة ليخبر سيده إبليس، وقال له: "سيدي إبليس، إني رأيت أمرًا عجبًا، فلقد خلّف الحطاب ولدًا لا يجزع من شيء، حتى أنه سر غاية السرور حين سرقت منه خبزه، وقال: لعلّ هناك من هو أحوج مني إليه فكيف السبيل لإغاظته وإغوائه؟"، رفع إليه إبليس رأسه مغضبًا واتهمه بالتقصير، وقال: "إنك شيخ عجوز كسول في عملك، ولا تقوم بمهامك على أكمل وجه، وإني سأمهلك سبعة أيام قبل أن يحلّ عليك عقابي"، انتفض الشيطان العجوز، واحنى رأسه لسيده وقال: "عفوك يا سيدي إبليس، سآتيك بما يسرك، فلا تقلق"، وغاب عن عينيه في الحال.

أما يعقوب الشاب فقد قطع الشجرة إلى عدة قطع صغيرة، جمعها في عناء وحملها فوق ظهره، حتى بلغ منزله، باع يعقوب بعضًا وترك بعضًا في خزانته ليوم حاجته، ثم ادّخر درهمين، وطرق باب جاره أبي صالح يخطب منه كريمته، وافق جاره على طلبه، وترحم على والده أبي يعقوب، فنام يعقوب سعيدًا يحلم بالأمنيات، في حين أن الشيطان ظلّ في كهفه يقلب أفكاره وكتبه بين يديه، لعله يجد ضالته في الإيقاع بهذا الشاب القنوع، ولم ينم طيلة ليلته تلك وهو يتخير الحيل والأفكار حتى سطع الفجر، وانفلق نور الصبح، عندها قدح في رأسه الحل، فتحول العجوز من فوره إلى رجل يرعى الجواميس، أخذ يجر خلفه جاموسًا وقد عقده من عنقه، حتى بلغ الفتى يعقوب الذي قدم فأسه ليقطع شجرة، قال الشيطان وهو في تنكره ذاك: "إني عطش يا فتى، فهل أجد لديك شرابًا؟"، دفع يعقوب له قربته التي ملأها من ماء البئر، وأخذ الشيطان يشرب منها حتى ارتوى وشكره، ثم قال له: "ظننت أنه خمرًا معتقًا من حانة أبي صاهود".

ابتسم إليه يعقوب وقال له: "ومن أين لي المال، وخمرته باهظة الثمن؟"، هنا ضحك الشيطان واقترب منه وقال: "أليس معك جاموسًا أو معزة أو بقرة؟"، أجابه يعقوب: "بلى، إن معي بقرة أحلبها وأنتفع منها"، فقال له الشيطان: "عظيم، فلماذا إذًا تتعب نفسك بالاحتطاب؟، وقد أغناك الله بهذه البقرة، بعها وتكسب من ثمنها، فإن تسعة أعشار

الرزق في التجارة"، أجابه يعقوب: "وكيف أبيعها وليس لدي غيرها؟"، رد عليه الشيطان ناصحًا: "اسمع قولي ولن تندم، إن قرية (حوش عرب) تشتري وتبيع البقرة بدرهمين، بينما قرية الخريبة تشتري وتبيع البقرة بدرهم"، أجابه يعقوب ولم يفهم مراد الشيطان: "وماذا أصنع بما قلت؟"، ابتسم له وقد ربط الجاموس حتى لا يفلت منه وقال له: "إذا بعت بقرتك في حوش عرب، فإنك ستشتري بثمنها بقرتين في الخريبة"، قالها له ثم ودعه دون أن يلتفت إلى الوراء، أخذ يعقوب عود شجرة ورسم بها مربعين، وأخذ يرسم لخطته بالأحجار، وأدرك أن ما قاله الرجل عين العقل، وأن ثروته ستتضاعف، وهكذا رجع بفأسه إلى منزله يجر بقرته بالحبل وباعها في (حوش عرب)، وعاد إلى بيته مساءً ومعه بقرتان سمينتان.

أعجب يعقوب بدهاء هذا الرجل الذي سقاه ماءً، وقال: "إن كلمات الرجل فتحت لي أبواب الخير والثراء"، وفي الصباح ساق بقرتيه إلى (حوش عرب)، وبثمنهما اشترى أربع بقرات من قرية (الخريبة) وفي غضون ثلاثة أيام تحول يعقوب الشاب الفقير لتاجر ثري، لا يتسع منزله إلى بقراته، تزوج يعقوب في حينه من ابنة جارهم أبي صالح (تيماء)، وابتهجت القرية بزفافه وطربت، ثم اشترى له حوشًا كبيرًا وحظيرة واسعة ملأها بالأبقار، واستمر على هذا النحو، حتى وافاه الشيطان على هيئة صاحب الجاموس، وقال له: "أما أجد عندك

خمرًا؟"، أفاق من شروده حين رآه، وقال له: "أنت صاحب الجاموس، ليس لدي وقت لشيء، فلقد فتحت لي أبواب الثراء"، قال له الشيطان وهو يبسم في وجهه: "وماذا ينفعك الثراء، إذا لم تتذوق متع الحياة؟"، فقال له يعقوب: "أصبت الرأي، وإنه بمقدوري الآن أن أشتري خمرة أبي صاهود"، ودعه الشيطان وقد لمعت عيناه بالدهاء.

ذهب الشيطان العجوز إلى سيده إبليس وأخبره أنه أنجز المهمة على أكمل وجه، وأن موعدهم الليلة، تأمله إبليس بعمق وقال له: "تذكّر أنّ لك عقابًا إن لم تنجز عملك على أكمله "، تبسم له الشيطان العجوز، وقال مغتبطًا: "لا أظن خمرة أبي صاهود تخيب يا سيدي"، سأله إبليس ولم يكن قد سمع بهذا الاسم من قبل: "وما هي خمرة أبي صاهود هذه؟"، ضحك الشيطان وقال: "إنك سترى مفعولها بأم عينيك الليلة".

أنجز يعقوب مهمته في البيع والشراء، وفي طريق عودته عرج إلى حانة أبي صاهود وابتاع منه عدة قناني من الخمر المعتق، كما أوصاه صاحب الجاموس، وكان يُعْرَف عن خمره أنه ثقيل شديد، فلما عاد بها إلى منزله دعا جملة من أصحابه وخلانه، وبدأ يصدح من منزله الغناء والطرب، فافترت كؤوس الخمر على الضيوف، وبدأهم بالحديث قائلًا: "إنه نخب الغناء والثروة، إنه نخب أبي صاهود"، تمايلت الرؤوس عند شرب الكأس الأول، فلما حضر الشيطان برفقة إبليس قال له: "دقق

النظر، وسترى ما تفعله خمرة أبي صاهود"، وبينما الكؤوس تدور على الضيوف سقطت إحدى القناني من زوجة يعقوب (تيماء)، فغضب منها وقال لها: "ما دهاكِ يا حمقاء، ألا تبصرين الطريق؟"، سر إبليس بهذا الإيقاع البديع، وأدرك أن الشيطان نجح في مهمته، غير أن الشيطان قال له: "إنك لم تر شيئًا من سحر هذه القناني"، فقال له: "وكيف عثرت على هذه الحيلة؟"، أجابه: "إنها خبرة الأولين ونتائج سهر الليالي"، أثنى إبليس عليه: "أحسنت صنعًا"، فما هي إلا لحظات حتى غابت عن الجميع العقول، وبدأت إيقاعات الخمرة تؤثر في أصحابها شتمًا وسبابًا وألفاظًا لا تليق، ثم بدأ بينهم الشجار، ولم يصبح عليهم الصباح إلا بعدة قتلى وقد أغرق منزل يعقوب بالدم والصراخ.

(2)

الكهف العجيب

في قرية بعيدة نائية عن صخب الحياة، يعيش زوج مع زوجته في راحة وهناء، لم يكن يعوزهما في حياتهما شيء سوى إنجاب طفل يريان فيه ثمرة سعادتهما، مع ذاك ظلّ الزوج يتغاضى عن طَرْق هذا الحديث، وزوجته تعيش حالة الألم مع توالي الأيام، فكلما انفتح حديث الخِلْقة أسرع الزوج بإغلاقه وحرف الحديث إلى جوانب شتى، فيقول فيما يقول: "إننا ننعم بالراحة والهدوء، والأولاد يحتاجون النفقة والتربية"، ظلّ الزوج منشغلًا يبيع الفاكهة والرمان في متجره، إلى أن آتاه رجل غريب انتفضت منه فرائصه، واعتراه من الخوف ما اعتراه، إذ لم تكن يده كأيدي سائر البشر، وهذا ما أثار حفيظته، أمسك الرجل الغريب بثمرة رمان فقال وهو يرمقها بعين ثاقبة: "ماذا تنفعنا شجرة الرمان لولا ثمارها؟"، قال الرجل الغريب مقولته تلك، ومضى في حال سبيله دون أن يشتري شيئًا، ظلّ الرجل شارد البال يتفكر في كلمات هذا الرجل الغريب، ويتساءل في أعماقه من يكون؟

التفت الرجل الغريب وراءه وحين لم يره أحد، تحول في لحظة خاطفة إلى كلب أسود عقور، وأخذ يعدو مسرعًا ولسانه يلهث من

شدة التعب، وحين توقف الكلب بإزاء شجرة تحول في لحظته إلى ذات الرجل الغريب ذي اليد المبقعة، تقدم الرجل إلى دار بائع الرمان ونظر يمينًا وشمالًا وحين لم ير أحدًا طرق الباب على زوجة صاحب الرمان، رأت الزوجة أن زوجها عاد مبكرًا على غير عادته، فخالطها الشكّ والريب، لهذا رفعت صوتها قائلة: "من بالباب؟"، أجابها الرجل الغريب قائلًا: "أنا عابر سبيل، وأطلب الماء"، فلما فتحت له الباب لتسقيه من الوعاء، ارتعبت منه حين رأته، فأخفى عنها ملامحه، إلا أنها ظلّت مرتابة منه حين رأته مبقع اليدين، قال الرجل الغريب، وهو يراقب الطيور فوق الشجرة: "ما فائدة الشجرة بلا طيور تزينها؟"، قالها، ثم أكمل شرب الماء وشكرها، ثم انصرف إلى حال سبيله، في وقت متأخر عاد الزوج لمنزله، ورأى زوجته تريد العودة إلى بيت أبيها وقد جمعت متاعها على غير العادة، فلما سألها عن السبب، لم تزد عما قاله الرجل الغريب: "ما فائدة الشجرة بلا طيور تزينها؟"، تعجب الرجل من تطابق ما قاله له ذلك الرجل الغريب، فلم يستطع أن يرد على كلام زوجته، لهذا انصرفت إلى بيت أبيها دون أن يمنعها من شيء.

أخذ يتفكر صاحب الرمان في كلام الرجل الغريب، وقال في نفسه: "لا بدّ للرجل من ولد يحمل اسمه قبل رحيله"، فلما حانت ساعة نومه رأى في منامه ذات الرجل الغريب يُقَلّب رمان المتجر، فقال له بائع الرمان: "ما الذي جاء بك؟، وماذا تصنع؟"، أجابه ناصحًا: "ما أتيت إلا

لمصلحتك، وأنا أفتش لك عن زوجة تهب لك الولد"، ثم قال وهو يدفع إليه رمانة فيها وجه غرابة: "إني عثرت على حاجتك، فإذا طلبت الولد، فتزوج من صاحبة الكهف"، استيقظ الرجل فزعًا مما رأى وقال: "من هذا الغريب؟، ومن صاحبة الكهف؟، وما قصة هذه الرمانة العجيبة؟".

شغله هذا الحلم غاية الشغل، حتى أنه ترك محله وهرع ناحية الكهف، إلا أنه تجنب الطريق الاعتيادية التي قيل أن بها بئر الشيطان التي لا يشرب منها أحد إلا مَسّه الجنون، وزيادة في الحيطة سلك طريقًا غير الطريق، حتى بلغ الكهف الذي يغذي البئر، حيث ينساب منه ما تجمعه الأمطار، صاح الرجل في الكهف فلم ير في الكهف أحدًا، عاود النداء مرة تلو أخرى، فلم ير لندائه مجيبًا، فلما استدار، وأراد العودة من حيث أتى سمع قرع عصا قادمة، نبض قلبه فزعًا من قرعها وقال في سره: "لاريب أن لهذا الكهف سكان"، خرجت من جوف الكهف المظلّم مجموعة من الخفافيش، فازداد رعبه، وغطّى وجهه بيده حتى لا تخدشه الطيور السوداء المريعة، مع ذاك آثر الانتظار ليرى القادم من عمق الظلّمة، فرأى امرأة تخفي عيونها النعسة من أشعة سطوع النهار، فلما أبصرها ورآها امرأة عجوز شاب رأسها وقد ذهب منها ماء الحياة، قال: "مستحيل"، ردت عليه العجوز: "ما الذي جاء بك إلى داري؟، وماذا تريد؟".

أخبرها عن قصته وإنه جاء ليفتش عن زوجة تلد له الأبناء، أجابته

وهي تقلب أخشاب نار قد أضْرَمتها قائلة: "لقد تأخرت كثيرًا، ولا يصلح العطار ما أفسد الدهر"، رجع الرجل إلى محله، وفي المساء عاد إلى منزله، وزاد من غيظه أن زوجته تزوجت من رجل ميسور بعد أن طلقها ولم ير حاجة فيها، وحين وضع رأسه على الوسادة رأى في منامه ذات الرجل الغريب، وقال له: "هل وجدت ضالتك؟"، أجابه: "إن صاحبة الكهف امرأة عجوز"، ثم نقل له ما قالته العجوز: "لا يصلح العطار ما أفسد الدهر"، ابتسم الرجل الغريب، ودفع إليه قارورة عجيبة، وقال له: "هذا ما لا يملكه العطار، خذ هذه القارورة إليها وستدلك على زوجتك".

استيقظ الرجل بائع الرمان من نومه فزعًا لا يصدق ما رآه، فلما وجد ذات القارورة بإزائه زاد عجبه، وحملها إلى العجوز صاحبة الكهف، فلما تعجبت من إقباله وقد صرفته بالأمس دفع إليها القارورة، وقال لها ما قاله الرجل الغريب: "هذا ما لا يملكه العطار"، أخذت تتأمل القارورة وتشمها وهي غير مصدقة، فقالت له: "صدق من أرسلك، وأنى للعطار أن يملك هذا؟"، ثم صرفته وقالت له: "سترى من أردت بعد ثلاثة أيام فلا تبطئ ولا تعجل"، خرج الرجل وهو يمني نفسه بالأمنيات، وبعد ثلاثة أيام عاد للكهف، فلم ير العجوز، فلما لم يجبه أحد سمع صوتًا، وبدأ النبض في ضلوعه يضطرب، ويتسارع، لمح أن المكان بدا أكثر أنسًا ومجرى الماء أكثر صفاءً، حتى أن الأرض قد اعشوشبت خضرة

وبهاءً، فلما اقترب من مصدر الصوت لم يُصَدّق ما رأته عيناه، فلقد تحوّلت المرأة العجوز إلى شابة بارعة الجمال خلابة المظهر، لم ير الرجل أجمل منها، فقال لها: "من أنتِ؟"، فتبسمت وأجابته: "أنا عفراء صاحبة الكهف التي تريد"، غمرته السعادة وهو يشير إليها بأصبعه: "أنتِ صاحبة الكهف التي أبحث عنها؟"، أومأت إليه برأسها في حياء، وظلّ يزورها كل يوم حتى قالت له: "انتهت مهمتك بعد اليوم فلا تأتِ حتى آتيك في المنام"، فلما أراد الكلام وضعت يدها على فمه، وانصرفت عنه.

مرّت عليه الأيام ثقيلة وهو في شوق شديد ليرى عروسه الجميلة، لكن أمانيه لم تتحقق حتى رآها في المنام تدعوه إلى الكهف ليرى ابنته التي اسمتها (جديلة)، استيقظ الرجل ومن فوره انطلق إلى الكهف ليرى الوعد الذي بشرته الرؤيا، فلما لم يجبه أحد دخل الكهف عنوة، وأخذ يفتش عن ابنته، فلم ير شيئًا إلا أنه أدرك أن العجوز كانت مختبئة خلف صخرة، فقال لها مغتاظًا: "أيتها العجوز، أين هي؟"، أجابته وكأنها في غفلة عما يريد: "من تريد؟، وماذا تطلب؟"، أجابها بوثوق لا يشوبه الشكّ: "ابنتي، أين هي؟"، قالت له وكأنها لا تعرف شيئًا: "من أخبرك أنها هنا؟"، فلما أمسك بيدها وأراد أن يفتك بها، قالت له: "إنها نائمة في المهد، فلا توقظها"، قالتها، وأخذ يفتش عن المهد فلم يجده، فقد أخفتها العجوز خلف صخرة كبيرة في نهاية الكهف، فلما أبصرها سر

من تحقق أحلامه، لكنه ارتعب حين سلط عليها الضوء فرآها رغم صغرها تحمل ملامح العجوز، ذات بشرة هرمة مجعدة، تختلف عن بشرة الأطفال، حزن الرجل غاية الحزن وأدرك أن طفلته غير طبيعية، هنا تكلمت له العجوز، وقالت: "ألا تريد ابنتك؟، خذها معك إن شئت"، قالتها وهي تسح الدموع من عيونها، فقال لها: "ليست هذه البنت التي أريد، إنها طفلة عجوز!".

قال لها ذاك وهرب من الكهف مسرعًا، رجع إلى منزله نادمًا وقد لاحت في رأسه فكرة أن يعيد زوجته الأولى حين علم أن زوجها رحل عن الحياة، لكن زوجته كانت في نهاية عمرها، وقالت له وهي في فراش الرحيل: "تمنيت أن أهب لك الولد، ولم يتبق لي في الحياة أي شيء"، ثم فارقت روحها الحياة، فظلَّ الرجل حزينًا يفتش عن زوجة تعينه فيما بقي له من أيام، فلم ير أي فتاة تقبل برجل عجوز تقدم به العمر، حتى مرض غاية المرض، فسمع أن في الكهف فتاة عجيبة تداوي المرضى وتشفي الآلام، لم يصدق هذا الخبر، وفي لحظة صفاء تذكر ابنته التي فارقها واستأجر له عربة تقله إلى الكهف، فلما رأته الفتاة عرفته وسقطت منها دمعة حارة، حين أدركت أنه والدها وأنه فرّط بها أيام طفولتها، ومع ذلك مسحت دموعها، وأخذت تجلب له الأعشاب والدهانات المقوّية لتداويه، وظلّت ترعاه حتى تماثل للشفاء، دعته أن يبقى معها لتسهر على رعايته إلا أنه ما كان ينظر لوجهها الذي ظلّ يذكره

بالعجوز الشمطاء القبيحة المنظر.

فلما خرج وكان يشتكي العطش شرب من بئر الشيطان، وقد نسي اللّعنة التي أودعت فيها وأن من شرب منها مَسّه الخبال والجنون، هنا صرخ صرخة وفقد عقله، سمعت الفتاة بصرخة أبيها وهرعت إليه، نظر لها في هلع وجنون فلم تتمكن منه حتى قيدته بالحبال وهي تبكي، وقالت له: "لماذا شربت من بئر الشيطان؟، ألم تعلم أنها بئر الجنون؟"، لم يكن يعي ما تقوله وظلّ على حاله وهي ترعاه حتى أعادته لرشده، وحذرته أن لا يشرب من تلك البئر اللعينة التي بصق فيها الشيطان، وعلى ضوء القمر سقطت منه دمعة وهو يقول لها: "ابنتي جديلة، هل كنتُ لكِ أبًا بارًا يا بنيتي؟"، بكت لبكائه، وضمها إلى صدره، ثم عاد بها إلى منزله لتعيش معه بقية الحياة.

❁ ❁ ❁

(3)
المرأة والشيطان

في كوخ عتيق تُطِلّ من نافذته أضواء الشروق كل صباح، كانت تعيش فيه امرأة متعبة أنهكتها الخدمة في البيوت، لتسد عن نفسها تباريح الجوع والعطش، لم تحظَ هذه المرأة البائسة من زهرة الحياة بشيء، أفنت شبابها ونضارتها رياح البؤس والآلام، فظلّت في كوخها تَعُدّ أيام الرحيل، لم تكن هذه المرأة العجوز في بواكير أيامها إلا فتاة يتيمة خلّفها أبواها بلا كافل ولا مُعيل، لم يتركا لهذه اليتيمة من حطام الدنيا شيئًا سوى بقرة صفراء واحدة طمع فيها التجار، وضحكوا عليها بعرض ثمن بخس دراهم معدودة.

وحين لم تجد هذه الفتاة الجائعة ما تأكله باعت إرْثَها الوحيد، وسدت بثمنه رمق الجوع وعطش الظمأ، ظلّت هذه الطفلة الصغير ترمق في كفها كيف تتبخر منها قطع النقود واحدةً تلو الأخرى، فلما لم يتبق في يدها من المال إلا قطعة واحدة هبطت من عيونها دمعة ساخنة، وأمسكت عليها قابضة. دعكت عيونها الرطبة، وقررت أن لا تنفق درهمها الأخير أبدًا، واتجهت من فورها تعرض نفسها للخدمة في المنازل والحانات، قبلت هذه الفتاة بالدراهم القليلة التي تتحصل عليها

وهي قانعة صابرة، وبينما هي منهمكة بعملها في أحد البيوت نظر إليها شاب صبيح مليح فأُعْجِبَ بها، رغم ثيابها البالية الممزقة، نبض قلبها بشعور غريب، وتمتمت في نفسها قائلة: "هل هذا ما يسمونه بالحبّ؟"، أكملت عملها في صمت وقلبها لا يزال في اضطراب بذات الشعور الذي عليه الشاب الذي رآها فأعجبته، فما كان منها إلا أنها أقصرت وأطرقت وأنهت عملها ثم انصرفت لمنزلها المتهالك، فلمّا حَلّ المساء وأكلت بعض اللقيمات الزهيدة طرق عليها الباب طارق، فقالت في نفسها: "من يطرق عليّ الباب؟"، فلما فتحت للطارق الباب رأت أمامها أم الشاب تطلب يدها لابنها الوحيد.

تلوّن وجهها وبكت في سرها مما خبأه لها القدر، حمدت الله على نعمته وهكذا زفت في الليلة التي تلتها إلى بيت زوجها بعدما وافقت عليه ورأت فيه علامات السعادة، غير أنها أيقظته في الصباح، فلم يستيقظ، فلما أمعنت النظر في وجهه وجدته قد لفظ أنفاسه وهي نائمة، وهكذا رجعت إلى بؤسها حين تشاءَم منها أهل زوجها الراحل، فبكت عليه كما بكت على تعثر حالها ومصيرها الحالك، ومع شروق الصباح عادت تزاول عمل الخدمة، وظلّت تعمل ليلًا ونهارًا لتجمع لها ما تقيم به أودها، وتستر به على نفسها.

ومع كل أيام الخدمة المبذولة لم تتمكن من جمع شيء، أمام هذه الحياة الصعبة التي أذلتها وأرغمتها، مع ذلك حافظت على نفسها من

الهلاك والموت جوعًا، حتى تقدم بها الزمن، وفي مرّة من المرّات أرادت أن تلقي القمامة خارج دارها؛ فلمحت كتابًا غريبًا تناولته بيد راجفة، فإذا به كتاب شعوذة وسحر، تراجعت في أول أمرها وارتعبت منه، لكنها سرعان ما خبأته بين طيات ثيابها، وانحسرت به لكوخها المتهالك.

أدنت منه النور، وشرعت في قراءته بأنفاس مرتعبة، راعها في النافذة منظر قط أسود تبرق عيونه بلون عجيب، سقط من يدها الكتاب إلى الأرض، وخافت منه وزجرته فولى هاربًا، وعاودت تقرأ في الطلاسم والتعاويذ، فلما توهمت ظلًّا يتطاول ناحية الجدار يقترب منها، رمقت النافذة فإذا به ذات القط الأسود يرمقها بعيونه المثيرة، فارتاعت منه وصرفته، فانصرف، وعادت تتلو التعليمات السحرية، فإذا بالقط يربض، أمامها في هدوء وسكينة.

لم تعبه به وأكملت تقرأ في الكتاب رغم علمها بوجوده في نافذتها، قلّبت الصفحات، وتلت التعاويذ، وبينما هي منشغلة في قراءتها تكلم القط لها قائلًا: "ماذا تفعلين بهذا الكتاب؟، وأين عثرتِ عليه؟"، تعجبت من هذا القط كيف له أن يتكلم؟، فلما صرفته وانصرف، وعادت للقراءة ظهر لها مرة أخرى، وأعاد عليها الكلام، فقالت له: "هذا لا يعنيك، فانصرف قبل أن أرغمك على الانصراف، أيها القط القبيح"، فقفز إلى غرفتها، وأخذ يتمطى في كسل وقال: "أنا قط قبيح، شكرًا على هذه

الإهانة، ولكنني لست قطًا"، وقف شعر جسدها وقالت له: "ومن تكون؟، إن لم تكن قطًا؟"، تمطى في كسل ودار دورتين ثم جلس بإزائها وقال لها من فوره: "هذا لا يعنيكِ أيتها المرأة القبيحة"، صمت القط لحظة ثم قال: "هذه بتلك، واحدة بواحدة"، أمعنت فيه النظر، وقالت له: "أنا امرأة قبيحة؟"، تثائب في كسل، وقال: "أليس لديكِ مرآة؟، انظري لها وسترين صدق الادعاء".

لم يخطر لها أن تنظر في المرآة يومًا، وحين استخرجت المرآة من الصندوق رأت أمامها امرأة عجوز شمطاء ذات شعر أبيض، سقطت منها المرآة وكادت أن تنكسر، فتأملت ذبول يديها، فتحققت أنها كما قال، فأعقب بابتسامة ماكرة: "هل تحققتِ من صدقي الآن؟، إنّكِ امرأة عجوز قبيحة، وعما قريب تموتين"، نهضت المرأة ووقفت بإزائه وحدجته بعيونها وسألته: "من أنت أيها القط؟، ومن تكون؟"، ردّ عليها بهدوء دون اكتراث: "سألتكِ من قبل فأجبتني بالرفض، فإذا أخبرتني ماذا تريدين من الكتاب أخبرتكِ من أكون؟"، قالت له: "حسنًا سأخبركِ، على أن تخبرني من أنت ومن تكون أولًا؟"، قال لها وهو يمط ظهره في كسل من جديد: "حسنًا سأخبرك، أنا الشيطان"، ارتعبت من كلامه ولم تصدقه، فقالت له: "أنت الشيطان حقًا؟، وكيف لي أن أصدقك؟، وما أراك إلا قطًا هزيلًا، لا حول لك ولا قوة"، أجابها: "إن الشيطان لا يظهر للإنسان على صورته الحقيقية، إنما يتقمص جسد حيوان، كالقط

والعقرب والحيّة وسائر الدواب، كما إنني أستطيع أن أظهر لكِ على صورة بشر"، قالت له المرأة وقد أبهرها حديثه: "أنا لا أصدقك حتى أرى بعيني حقيقتك".

تنحنح في زهو وقال: "لم يطلب مني إنسي من قبل أن يراني على صورتي الحقيقية، ولي الشرف أن ألبي دعوتكِ"، فقفز القط ثلاث قفزات متتاليات حتى استقر في مكانه الأول أمام النافذة وقد تحول ظلّه الذي في الجدار إلى ظلّ مختلف، فقال لها أغمضي عينيكِ وافتحيهما وستريني على حقيقتي، فلما أغمضت عينيها وفتحتهما رأت أمامها الشيطان على صورته، قبيح المنظر خلق الثياب أعور العين له لحية بها سبع شعرات كبيرة كأنها شعر فرس، أما شفتاه فكانتا كبيرتان كأنها شفتي ثور هائج يخرج منها أنياب خنزير، قال لها مبتسمًا وقد دَبّ الهلع في بدنها واستندت للجدار: "هل صدّقتِ أني أنا الشيطان بلحمه ودمه؟، والآن حان حينكِ أن تخبريني كيف وقع كتابي في يدكِ؟، وماذا تريدين منه؟"، قالت بعد أن أقشعر بدنها: "إني لم أسرق كتابك من أحد، إنما وجدته في القمامة، وإني لم أتذوق من أفانين النعم وملذات الحياة شيئًا، لهذا فتحت كتابك عليّ أجد فيه حاجتي"، فسألها وشفتاه تبسمان في خبث قائلًا: "وما حاجتكِ؟"، قالت له: "أن يعود لي شبابي، وأن أغدو جميلة الجميلات، وأن أتمتع بالحياة كيفما أشاء".

انتفض الشيطان قائلًا: "هذا مستحيل، فعمركِ شارف على

الذبول، إلا أن بمقدوري أن أمنحكِ ما تريدين بشرط واحد"، أجابته بعد أن رمقت الكتاب في يدها: "إذا كان شرطك هذا الكتاب فخذه إليك وامنحني ما أريد"، قهقه الشيطان عاليًا، وقال لها: "يا بلهاء إنّكِ لا تعرفين مع من تتحدثين، إن هذا الكتاب لا يساوي عشر معشار ما في صدري، وإني لقادر على أن أمنحكِ ما تشائين، بشرط وحيد، فماذا تقولين؟"، أجابته على الفور بعد أن راعها حديثه: "وما شرطك؟"، قال لها: "شرطي أن تكون روحكِ ملكي، وسأمنحكِ ما تريدين لمدة خمس سنوات متعاقبات، فما تقولين؟"، هنا طمعت المرأة في أحلامها، لكنها ابتلعت ريقها وقالت: "إن خمس سنوات لقليلة، فإذا ضاعفت لي المدة بعشر سنوات قبلت، بعدها خذ مني روحي وجسدي إن شئت"، ضحك الشيطان بصوت مجلجل وقال: "من طبعكم الطمع يا أبناء آدم، أما جسدكِ الفاني فلا حاجة لي به، ومع ذلك قبلتُ الصفقة على أن تمضي على عقدنا بالدّم، أمنحكِ عشر سنوات وتكون روحكِ من نصيبي".

هَزّت المرأة رأسها موافقة، فتناول الشيطان ورقة أخرجها من الهواء، وجلس على المقعد يدوّن العقد بينه وبينها، ثُمّ أَخْرَجَ خنجرًا من حزامه الجلدي وتقدم منها وظنّت أنّه سيحز به عنقها، لكنه لم يضع الخنجر على نحرها، إنما سحب يدها فجرحها جرحًا لم تشعر فيه بالألم، فقالت له: "كيف فعلتها؟، جرحتني دون أن أتألم؟"، أجابها: "هذه بعض قدراتي، ولا بدّ لكِ من الإمضاء، فأبناء آدم لا عهد لهم

ولا ميثاق، وهذا الدّم وهذا هو العقد، فامضي عليه قبل أن أغير رأيي وأغيب عنكِ ولا تريني"، تناولت العجوز الورقة بيد مرتعشة وأمضت عليها، فغاب العقد، وضحك الشيطان قائلًا: "تمت الصفقة بيننا، ولا تراجع بعد إمضاء الدماء"، فقالت له: "إذًا أين وعدك؟، ومتى تمنحني ما أردت؟"، تبسم الشيطان وقال لها: "انظري في المرآة لتتوثقي من صدقي، فليس من طبعي أن أحنث بوعودي"، قالها ثم تلاشى كالدخان في الهواء، تناولت المرأة المرآة فإذا بها ترى نفسها على غير حالها، فلقد تبدل جسمها من الهرم والعجز، إلى الشباب والنضارة، فأضحى خريف جسدها ربيعًا غَضًّا بَضًّا لا يضارعه شيء، فراعها ما رأت في أول الأمر، ثم أخذت تتراقص وتقفز في هناء وهي تستنشق الهواء في سعادة وحبور.

لم تتذوق تلك الحسناء المتحوّلة أجمل من هذه الأيام، ومرّت عليها السنوات تلو السنوات، حتى رأت أمام النافذة ذلك القط الأسود يتمطى في مشيته بخيلاء، وقال لها: "لقد صدقتكِ وعدي، وقد انقضت سنواتكِ العشر، وأصبحت روحكِ مُلْكي"، قالت له مستنكرة وهي غير مصدقة: "هل حقًا انتهت السنوات العشر بهذه السرعة؟"، أجابها من فوره: "بلى، فما أسرع انقضاء الأيام من العمر"، قالت له في حزن عميق: "لكني لم أدرك انتهاءَها، فإذا كان ولا بدّ فامنحني أربعين يومًا أودع فيها هذه المتع"، ابتسم الشيطان وقد راقت له مكنته فقال: "ألم أقل لكِ إني

أعلم طمع بني آدم، ومع ذلك سأعطيكِ ما طلبتِ، فليس من طبعي التعجل، ومصير روحكِ أن تكون ملكي، كما اتفقنا"، قالها، ثم قفز من النافذة، وتلاشى في الهواء.

هنا أدركت المرأة أنها خسرت الصفقة وأنها باعت روحها الباقية بأيام فانية زائلة، فندمت وتحادرت منها الدموع، فأبدلت ملابسها بعد أن تطهرت وأخذت تصلي لله في ضراعة، وتتوب إليه بما فعلت من عصيان، وفي ليلة من الليالي السوداء الحالكة، ظهر لها الشيطان على صورته المرعبة، فرأى لها نورًا لم يره من قبل، فتعجب منه، لكنه قال لها في صلافة غير آبه بما رأى: "أعطيتكِ ما تشائين وزيادة، والآن أصبحت روحكِ ملكًا لي، لهذا آمركِ أن تسجدي إليّ الآن وفورًا"، فما كان منها إلا أن شهقت شهقة كادت أن تموت فيها وقالت: "لم يكن بيننا اتفاق أن أسجد لك، إنما لك مني أن تأخذ روحي وتصنع بها ما تشاء"، وحين لم يجد الشيطان لرغبته سبيلًا، قال لها: "إذًا ستموتين هذه الليلة، وسأدخلكِ معي في سعير جهنم"، لم ترتعب منه ولم تهتز، ودنت من فراشها، وتلحفت بالغطاء وفارقت الروح الجسد.

ومرّت على الشيطان أيامه وحان موعد الحساب، قال الشيطان لملائكة النّار: "أنا الشيطان وقد عبدتُ الله قبل عصيانه، وقد أعطاني الله على عبادتي ما أريد، وإن لي طلب أخير، لا تضركم تلبيته لي"، تقدم رئيس خزنة جهنم وقال للشيطان: "وما طلبك أيها الشيطان؟"، قال

الشيطان وهو يرمق أصابعه: "أن ألقي أتباعي في جهنم بيدي هاتين"، فرفعهما وهو يقول: "فهل لي أن ألقي أتباعي بنفسي؟"، أجابه خازن النّار: "لك ما أردت أيها الشيطان، فمصيرك من مصيرهم عما قريب"، وهكذا أخذ يلقي أتباعه في جهنم واحدًا تلو الآخر، ثم التفت إلى الوراء وقال: "بقي لي تابع واحد"، فسأله خازن النّار: "ومن هو تابعك الأخير؟"، لم يجبه الشيطان على سؤاله إنما أخرج له من جيبه ورقة موقعة بالدم وقال: "إنها روح امرأة اشتريت روحها في دار الدنيا"، فلمّا حدّق خازن النّار في الورقة وتأكد منها قال لزبانيته: "أحضروا لي هذه المرأة لتدخل معه في جهنم"، فلما أقبلت المرأة والنور يتقدمها قال لها خازن النّار: "هل هذا إمضاؤكِ أيتها المرأة؟"، أجابته بحزن: "بلى، ومن حقّ الشيطان أن يصنع بي ما يشاء، هكذا اتفقنا، وهذا هو المقدور"، ضحك الشيطان في سرور وقال: "أسمعتم ما قالت؟، إنها تقر بملكي لها، ومن حقي أن ألقي بها في سعير جهنم"، وقبل أن يلقيها في جهنم سمعوا دوي رفيف ملائكة الجنّة، وهم يقولون: "توقفوا، توقفوا، لا تلقوا روح هذه المرأة في النّار، فإنها من أهل الجنّة"، تبجح الشيطان ضاحكًا وقال متفاخرًا في زهو: "هلموا واقرؤوا هذا العقد الذي أمضته بالدماء، ثم اسألوها، وستجيبكم صادقة، إنها قد باعتني روحها وإني صاحبها"، قال خازن النّار لملائكة الجنّة: "لقد صدق الشيطان، وإنها تقر بصحة هذا العقد، وأنها ملك صُراح للشيطان، وما هذا الإمضاء إلا برضاها وبدمائها".

هنا استخرج كبير الملائكة خازن الجنان ورقة بيضاء، وقال: "إذا كنتم تصرّون على أخذ المرأة لجهنم، فلنضع أوراقنا وأوراقكم في الميزان الإلهي ولنرى لمن تكون الغلبة ولمن هو الحَقّ، فإنه لا جور فيه ولا حَيْف"، تذكر الشيطان في هذه اللحظة أن المرأة طلبت منه أربعين يومًا وأنه رأى في وجهها الضياء والنور، فتردد في أول الأمر، لكنه وافق حين رأى أن عشر سنوات ستفوق الأربعين يومًا التي وهبها لها، غير أنه رأى أمرًا عجبًا وهو أن كفة الأربعين يومًا رجحت على كفة العشر سنوات، فصرخ الشيطان في اعتراض: "إن هذا الميزان مغشوش، فكيف تتغلب كفة الأيام القليلة على الأيام الكثيرة؟". تبسم خازن الجنّة وقال للشيطان: "أما تعلم أن الأمور تجري بالخواتيم، ولقد تابت هذه المرأة قبل منيتها وقبل الله توبتها"، هنا عضّ إبليس على أصبعه ندمًا وهو يقول: "يا ويحي، يا ويحي إن دهاء الشيطان العظيم غلبته مكيدة امرأة".

(4)
حكيم القرية

متعفف عما في أيدي الناس، يحمل بين جنبيه الطيبة والخلق الكريم، هَذّب نفسه، وانشغل بما يعنيه عما لا يعنيه، ظلّ يقرأ في كتب العلم ويبحر في ما كتبه الأولون، ومع مرور الوقت تملّك ما لم يتملكه غيره من العلم والحكمة والفصاحة والفطنة، حتى اشتهر بين الملأ وقصده القريب والبعيد، وذات مرّة قصده قاصد وقال له: "أيها الشيخ الحكيم، عبر لي رؤياي، فلقد رأيت عدو الله إبليس يُحَدّق من فوق جبل، ثم ما برح يرسل الشهب والنيازك على أهل هذه القرية"، كان الشيخ الحكيم ينصت لمحدثه بكل اهتمام، فلما فرغ من حديثه سأله الحكيم: "ما لون الشهب والنيازك التي يرسلها الشيطان؟، فإن لكل لون دلالة"، فلما أبلغه أنها سوداء كالفحم وحمراء كالجمر، حوقل الحكيم وقال إننا سنمر بأوقات عصيبة دهماء كلون تلك الشهب الحالكة المحمرّة.

ارتعب الحالم، وانتشر بين أهل القرية توعد الشيطان لهم كما انتشر تعبير الحكيم لتلك الرؤيا، فاصطلم الناس في قلق واندهاش، وما هي إلا أيام حتى انقلبت القرية عاليها سافلها، لم ير أحد منهم أي

شيطان إنما كانت تصرفات الناس غريبة متوترة، حتى أنه وقع بعض الاشتباكات وأريق الدّم الحرام، وقبل أن تسفك دماء الأبرياء انتخبت القرية هذا الحكيم قاضيًا لها، وأخذ الحكيم ينظر في الشكاوى، ويحل الخصومات والنزاعات، حتى طار ذكره في الأقطار.

رغم تلك النزاعات الضاربة والمشاكل المتلاطمة إلا أن هذا الحكيم الفطن أدار المواقف والأحكام بعقل وحكمة، وهكذا تمكن من إطفاء نيران الفتن التي أقبلت عليهم كقطع الليل المظلّم، هنا غضب الشيطان حين رأى أن كل حيله ومكره ونيران فتنته أخمدت، وذهب ريحها، ومما أغضبه أكثر أن أهل القرية نصبوا هذا الحكيم عليهم سلطانًا، ولقبوه بـ (السلطان الحكيم)، أخذ الشيطان ينتف شعر رأسه من شدة الغيظ والحنق، وأقسم أن يفرغ لهذا الحكيم الذي أوغر عليه صدره، فلما أدرك أنه يسمع للخصوم في أنات، قال لا سبيل إلا في إتلاف مسامعه، فتسلل الشيطان وفي يده بوق عجيب، فلم يتمكن من الاقتراب منه، فلقد كان السلطان الحكيم سريع الالتفات، وهكذا أضمر أن يزوره ليلًا حين تنام العيون وتطفأ الأضواء.

وحين أطفأ الحكيم أنوار منزله، وبات في فراشه بعد نهار طويل شاق، تسلل الشيطان على أطراف أقدامه وفي يده البوق اللعين الذي أخفاه بين طيات ملابسه، وما إن دنى من الحكيم حتى نفخ بالبوق في

إذنيه فأتلفهما، ونهض الحكيم في الصباح لا يسمع صوتًا والألم نال منه فوق ما يحتمل، أحضر السلطان الحكيم له الأطباء وقد تعجبوا مما أصابه، ورغم كل المحاولات المتعددة التي بدلت لشفائه خابت كل المساعي، وأعلن الجميع عجزهم عن علاجه، ظلّ السلطان حائرًا في قضاياه وزوّاره، لا يعلم ما يريدون، وما يطلبون، وبعد برهة من التفكير، أعلن لسكان القرية، من كانت له حاجة لدى السلطان فليكتبها في قرطاس، وحتى يسهل على الناس فكّ المظالم أصدر مرسومًا أن يرتدي كل صاحب ظلّامة ثوبًا أحمرًا لينظر في حاجته قبل غيره، وهكذا سر الجميع وسارت الأمور وفق ما يشاء.

اغتاظ الشيطان من فطنة هذا الحكيم وكاد أن يمزق ثيابه من شدة الغيظ والقهر، ظلّ الحكيم يقرأ ما يكتبه الناس من منازعات، ويحل لهم قضاياهم قبل غروب شمس النهار، هنا قال الشيطان في سره: " لابد لي من الانتقام من هذا الشيخ الهرم، ولا سبيل إلا بإتلاف عينيه، حتى لا يتمكن من النظر في مراسيل الآخرين"، راقت له الفكرة، فأحمى له خنجرًا بالنّار، وأدرك أنه لن يتمكن منه مستيقظًا وهو كثير الالتفات، ولا سبيل له إلا إذا بات في مخدعه ليلًا، وهكذا تسلل الشيطان على مشاش قدميه في هدوء بعدما بات الحكيم في فراشه وأطفأ الأنوار، فلما وضع الشيطان خنجره المحمي على جفون السلطان الحكيم صرخ صرخة

مُدَوّية من شدة الألم، وحضر الحراس مدججين بالأسلحة فلم ير أحد منهم شيئًا؛ حيث أن الشيطان هرع مرتبكًا من الفزع وفَرّ من النافذة المفتوحة، وتبخر في الهواء.

وهكذا ظلّ السلطان يعاني الألم، ولم يتمكن من فتح عينيه ولم يعد يبصر شيئًا حوله، فوقع الناس في حيرة أمام قضاياهم ومنازعاتهم، فطن الحكيم أن له خادمًا موثوقًا، أمره أن يكتب له على ظهره كل ما يرده من مكاتيب ومنازعات، وظلّ الحكيم يجيب الناس من خلال ما يكتبه الغلام على ظهره، اغتاظ الشيطان من سعة حيلة الحكيم، وقال: "لابد لي من الفتك بلسان الحكيم لأريحه من الحديث"، فلما بلغه ليلًا تناول جمرة متقدة وضعها فوق ثغره فصرخ الحكيم صرخة عظيمة والحراس في حيرة من أمرهم، فجميع الأبواب مقفلة وهم لا يعلمون من فعل بالسلطان فعلته!

تمكن الشيطان من الهرب من النافذة، ولم يعد السلطان يتكلم منذ تلك اللحظة، ومع ذلك ظلّ السلطان يجيب على قضايا الناس من خلال تدوين غلامه الخصومات على ظهره، ثم يكتب الأحكام على القرطاس، تعجب الشيطان من دهاء السلطان وعلو همته، فلما أعيته الحيلة وظنّ أنّه لا سبيل له على الحكيم قدحت في رأسه الفكرة وهي أن يشل يديه، ويحبس الشعور والإحساس من جسمه، حتى لا يتمكن

من الفصل بين الخصوم.

تمكن الشيطان من التسلل إلى حمام السلطان، وأحضر له طينًا خبيثًا به سُمّ فاتك، وظلّ الشيطان يطلي جسمه بالطينة المسمومة والسلطان يظنّ أنّه خادمه الذي ذهب ليقضي حاجته ويعود، ولم يخطر في عقل السلطان أن ما يطلى به إلا الصابون، فلما لم يجد الشيطان له مهربًا تنكر بملابس خادمة، ونفذ بجلده، لحظات حتى أخذ السلطان يصرخ من شدة الألم والوجع، لم يشعر السلطان بعدها بأي شيء، وهكذا ظلّ السلطان في فراشه طريح المرض لا يرى ولا يسمع، لا يتكلم، ولا يَحُسّ، فاقدًا لكل قواه وحواسه.

انتشر أمر السلطان في أرجاء القرية، فهرع الناس للمساجد ودور العبادة يبكون ويتضرعون، تقربوا إلى الله بكل القربات، عسى الله أن يخلص سلطانهم مما هو فيه، انزعج الشيطان، وأخذ يضرب نفسه، ويصيح باكيًا وهو يقول: "لقد زادت عبادة الناس، وأصبحوا أكثر تقربًا إلى الله، حتى أن النزاعات قلّت بينهم راجين أن يشفي الله لهم سلطانهم"، ظلّ الشيطان حزينًا حائرًا ماذا يصنع مع هذا الحكيم العجيب؟، فلما أخلص الناس في دعواتهم وقرباتهم، أرسل الله لهم ملكًا على هيئة طبيب جوّال، وقد أحضر معه طينًا من تراب الجنّة، فلما مسح الطبيب المتجول جسد هذا السلطان بطينة الجنّة رجعت صحة

السلطان كما كانت في خير وعافية، فرح سكان القرية من هذا النبأ السعيد، وأعلنت المسرات في الطرقات، أما الشيطان فقد حمل أمتعته وحقائبه، وتولى يبحث عن قرية أخرى ليس فيها ظلّ ذلك الحكيم.

(5)
ريشة رسام

في حي فقير من أحياء مدينة برمنغهام بإنجلترا يقع بيت قديم في نهاية الشارع، وهو في واحد من الأزقة الضيقة، طرقت امرأة بأنفاس مضطربة الباب على دار مايكل الذي فقد أباه، وظلّ مع والدته، قالت المرأة وأنفاسها تتقطع: "سيدتي، سيدتي، إن مادلين في المخاض"، أشارت لها بأصبعها أن تسكت وأن لا تثير الجلبة، فمادلين هذه لم تكن متزوجة، وقد أُعْتُدِي عليها من قبل أحد الجنود في الغابة، ولم تتوصل لهويته حيث وضع على وجهه اللثام وكان الوقت مساءً، تمكنت والدة مايكل من استخراج الطفل الصغير من أحشاء أمه، إلا أن مادلين لفظت أنفاسها ورحلت عن الحياة بعد صراع مرير بهذا الحمل غير المرغوب به، كان آخر ما تلفظت به الأم الراحلة اسم هذا الصغير الذي أطلقت عليه اسم (إيزاك)، لم ترغب أم مايكل أن تأخذ أجرها رغم حاجتها للمال، وقالت للخادمة احتفظي بالمال لهذا الصغير، فهو أكثر حاجة مني إليه.

فلما عادت القابلة إلى منزلها خاب أمل مايكل في أمه، فلم تأتِ له بطعام ولا شراب كما وعدته، وفي صباح اليوم التالي ألقت عليه مسؤولية

جديدة إذ قالت له: "مايكل إن لك موهبة مبهرة، فلماذا لا ترسم حارس القطار مرّة أخرى فلعله يعطيك ما يَسِدّ به بعض حاجتنا"، قالتها الأم وهي تحيك قطعة من الصوف، تذكر مايكل تلك النادرة العجيبة حيث شاهد حارس محطة القطار، وأخذ يمعن فيه النظر وبعد دقائق ذهب إليه وأراه رسمه، بهت الحارس من دقة الرسم، وقال: "كيف يمتلك هذا الصغير أن يرسمه بكل هذه الدقة؟"، لم يكن مايكل حينها إلا هاويًا صغيرَ السن لا يتعدى الثامنة، مع ذاك أعطاه بعض البنسات كرمًا منه وتشجيعًا لهوايته، ثم قدّم له قبعته هدية فبان صلعه الذي حجبته القبعة.

راقت لمايكل فكرة رسم ذلك الحارس الأصلع، غير أنه حين بلغ محطة القطار لم يعثر عليه ولم تسوقه قدماه إلى محطة القطار إلا لرسمه، لم يرغب ما يكل أن يرجع إلى أمه خالي الوفاض وهم في حالة سيئة من شظف العيش، لهذا ظلّ يسأل المارين إن كانوا يرغبون في رسمهم مقابل بعض البنسات الضئيلة، ضجر مايكل من إلحاحه وتمنع الناس، وخال نفسه كالمتسول الدرويش الذي لا يجد من يتصدق عليه بقطعة حقيرة، وبينما هو واقف بملابسه المهترئة وحذائه المثقوب الذي تظهر منه أصابع قدميه، تفطن أنه وقف في المكان الخطأ، وهنا غير موقعه إلى مقاعد الانتظار، ومع ذلك لم يعثر على أي راغب، فلما تعب من البحث جلس بطرف أحد المقاعد وصوب نظره إلى امرأة تلقم ولدها طعامًا، فحرك قلمه ورسم المرأة مبتسمًا وهي تطعم صغيرها، فلما فرغ

من لوحته مد لها اللوحة فاندهشت كيف له هذه القدرة العجيبة في رسم الوجوه والملامح؟، أعطاها الورقة دون مقابل، لكنها فتحت محفظتها، وأعطته خمس بنسات، لم يصدق منها هذا السخاء، وعاد إلى أمه فرحًا سعيدًا بما كسب من تلك السيدة النبيلة.

قالت له أمه بعد أن أبرز لها ما جنته موهبته: "إنّ السماء تعطي المحتاج أينما كان"، ومنذ ذلك اليوم جلس بالقرب من مقاعد الانتظار يرسم الوجوه، بعضهم لم يكن يعطيه شيئًا وبعضهم كان يعطيه بسخاء، وذات مرة شاهد رجلًا باذخ الثراء لم يكن يعلم أنه سفير البلاد، فلما أتقن رسمه قدم له اللوحة وانصرف، فأوقفه السفير، وحدّق في عينيه، وسأله عن اسمه وعن موقع منزله، فلما أجابه قدّم له خمسون بنسًا لم يصدق مايكل عينيه إذ لم يسبق له أن رأى هذه العملة، فخبأها في جيبه وانطلق إلى أمه ويده على جيوبه حتى لا تسرق منه أو تسقط من فرط فرحته.

ضمته أمه إلى صدرها وقالت له: "عليك برسم الأثرياء، فلربما أجزلوا لك العطاء"، ومن ذلك اليوم أخذ يرسم وجوه الأغنياء، وفي مرّة من المرّات رسم وجه ثري سمج الخلق، ما إن وقعت عينه على لوحته حتى ثارت ثائرته ومزق اللوحة، وهدده بالشرطة وغاب عن عينيه وركب القطار، وما هي إلا لحظات حتى أمسك به جنديان يستقلان عربة، وقالا له: "هل أنت مايكل الرسام الصغير؟"، خبأ أوراقه خلف

ظهره ومن شدة فزعه قال: "نعم"، وكان يرجو أن يقول: "لا"، فأمسكاه وهو يمانعهم، ويسعى للفرار، لم يكنِ الجنديان مرسلين إلا من قبل السفير، الذي أطلع الملك على موهبته، فلما امتثل أمام الملك انبهر مايكل من فخامة القصر، والألوان والأقلام والمراسم، تذكر ما نصحته أمه أن يرسم وجوه الأثرياء، فقدّم كلّ ما لديه حين طلب منه الملك أن يرسمه، لم يصدق الملك عما قيل عنه حتى شاهد لوحته، قدم له الملك كيسًا من النقود الذهبية، فقال مايكل بعد أن ابتلع ريقة: "سيدي الملك أنا أسكن في حي فقير، وإن هذا الكيس سيسرق مني قبل أن أصل إلى منزلي"، فهم الملك ما يشير إليه فقال له مبتسمًا: "لا تخشَ شيئًا، إننا سنتكفل بإيصالك وسنعيدك إلينا غدًا لترسم لوحة أخرى".

شعر مايكل بالزهو، خاصة وأنه رأى حبيبته (ويندي) تنظر إليه باستغراب كيف يهبط من العربة الملكية؟، أخبر أمه بما حدث له، ولم تصدق حتى رأت كيس النقود الذهبيّة، وهكذا تبدل حالهم إلى أحسن حال، في اليوم التالي استقل العربة ورسم ابنة الملك، وعلّقت لوحته على الجدار، كبر مايكل وتزوج (ويندي) التي كانت فخورة به وبموهبته، وحين رحلت أمه عن الحياة انتقل بزوجته إلى جناح ملكي خصص له، أخذ يتأمل الملك منظر الغروب وهو يقول لمايكل: "ارسم لي لحظة انطفاء الشمس، لحظة انزواء النهار وهيمنة الليل"، وعلى الفور رسم ما تمنى الملك فأبهرته اللوحة، وفي مساء تلك الليلة رأى

الملك في منامه حلمًا أفزعه فيه صراع الملائكة والشياطين، تفاءل له بعض المنجمين ومعبري الرؤى أنّ ملكه سيدوم طويلًا، سُرّ الملك بهذه البشارة، وأحضر الرسام مايكل وقال له: "ارسم لي صورة ملاك وصورة شيطان".

صمت مايكل لحظة وقال للملك: "لم يسبق لي أن شاهدت صور ملاك ولا شيطان، فكيف أرسم شيئًا لم أره؟"، قال له الملك: "إن رسمك هذا سيكون فريدًا"، فأطرق مايكل وقال للملك الذي أكرمه غاية الإكرام، وقد تذكر فتًى بهي الطلعة حسن الملامح: "أمهلني بعض الوقت لعلي ألبي لك رغبتك"، فخرج يفتش عن ذلك الصبي الذي رآه بالقرب من دارهم الأولى، فلما رآه مد له نقودًا ليسمح له برسمه على هيئة ملاك، وافق الصبي، وأَتَمّ رسم اللوحة على أحسن وجه حيث كان قد استلهم من هذا الطفل كل البراءة والنقاء والطهر، فلما عاد إلى الملك وأزَاح الستار عن لوحته أعجب بها غاية الأعجاب، وأجزل له العطاء السخي، وقال له: "بقيت عليك لوحة الشيطان".

لم يعثر مايكل عن وجه يستوحي منه رسم الشيطان، فأخذ يشرب الخمر ويأكل الدسم وينام على شبع علّه يظفر بحلم سيء يرى فيه الشيطان ليرسمه، وعبثًا فعل، ثم نقل أقدامه ليفتش عن أحياء الفقراء وزقاق العصابات والمجرمين والسجون، ولم ير وجهًا يليق بهيبة الشيطان، فعاد للملك خائبًا يجر أذيال اليأس، انشغل مايكل برسم

لوحات كبيرة وكثيرة للقصر الفسيح، حيث زين قصر الملك بتحف فريدة متقنة أنيقة، كان الملك يتفاخر بها وبرسامه الخاص، حتى مرّت عليه الأيام والأعوام، فلما مرض الملك وتوعك، قال للرسام: "إنها لا تزال أمنيتي في صدري، أن ترسم لوحة الشيطان"، وترك محلها فارغًا ريثما تتحقق له أمنيته، طلب مايكل من الملك أن يمنحه بعض الوقت لعلّه يجد في البلدان المجاورة من له ذات الصفات، التي يتحلى بها الشيطان، وقال له: "إن للشيطان سطوة وهيبة لم أر لها مثيلًا بين البشر، ولعلي أرى وجهًا نادرًا هنا أو هناك"، حمل مايكل على ظهره أمتعته وظلّ سائحًا بين حانات الخمر وبيوت الدعارة علّه يرى أمامه وجهَ وحش بشري أو شرير، فلما أعياه التعب وجلس على أحد المقاعد لمح رجلًا يحتسي كؤوس الخمر في اضطراب، وظلّه يمتد على الجدار، أشار مايكل بأصبعه ناحية الرجل، وقال للنادل: "إنه هو، إنه الشيطان الذي أبحث عنه"، كان شعر الرجل أشعثًا فوضويًا وعيونه غائرتان، وثيابه ممزقة تثير الاشمئزاز، تقدّم مايكل ناحيته، وقال له: "هل تسمح لي أن أرْسُمك على هيئة شيطان؟"، قالها واستخرج له كيس النقود علّه يقبل ويوافق، أومأ برأسه موافقًا، ظلّ مايكل يرسم لوحته، وبينما هو منهمك في رسمه إذ سقطت من عيون الرجل دمعة ساخنة، مسحها بباطن كفه، وقال له: "هل تذكرني يا مايكل؟"، أجابه والريشة في يده: "لا أذكرك بالطبع، لأني لم يسبق لي أن رأيتك من قبل"، فقال له الرجل:

"ألم تسمع من قبل باسم إيزاك؟"، قال له مايكل: "ومن هو إيزاك هذا؟"، قال له الرجل الشاحب الأشعث: "إن أمك كانت قابلة أمي مادلين، وأنا إيزاك"، قال له مستفهمًا: "لعلي سمعت باسمك من قبل، ولكن لماذا تبكي؟"، أجابه إيزاك: "لأنك رسمتني قبل عشرين سنة في وجه ملاك، وجئت اليوم لترسمني في صورة شيطان".

(6)
مصرع الحيّة

يتسلى مع بعض الأصدقاء ويبيت معهم ليالي الجمع حتى مطلع الفجر، يقدمون له أنواع السجائر الفاخرة، ويشربون الغليون (البايب) وبعض المشروبات الروحيّة المهربة من جمارك الحدود الشمالية للبلاد، يقضي معهم أجمل أوقاته، فيمزحون بما يليق وما لا يليق، ويلعبون لعبة ورق الكوتشينة (البلوت)، برهان أو بغير رهان، رغم خسارته الجَمّة معهم في تلك المقامرات الصعبة، إلا أنه كان يضحك من قلة حظه وهزيمته، يتعذر لهم باللعب في أدوار ثانية حين تفرغ محفظته من النقود، أو يستدين من بعض رفاقه إذا لزم الأمر.

وهكذا ظلّ يمازحهم ويمازحونه كلما أخفق، حتى أطلقوا عليه لقب (الغيلم المنحوس)، أقرّ لهم بالثانية لعلهم يتناسون الاسم الأول، إلا أنهم يغيظونه بالإشارة إلى الاسم الأول ممعنين في إغاظته، كان يتقبل الهزيمة والخسارة بروح رياضية، رغم أن خسارته المتوالية أصابته بالضجر، وأدرك أنه سيهبط تحت خطر الفقر، وفي مرّة من المرّات، التقى به صديقه الأعَزّ فرج، وقال له: "ما بك يا عائد، لا تزال

تسامر القوم، وتضيع أثمن ما لديك على لعب لا قيمة له إلا إهدار المال دون طائل".

وافق حديثه هذا في وقت أشد ما يكون فيه بحاجة إلى المال، لهذا استجاب لنصيحة صاحبه، وقال له: "أعِنّي يا فرج بإقراضي بعض المال"، أجابه صاحبه: "بكل سرور شرط أن لا تقامر به مع أولئك"، قال له صادق: "لقد سئمتهم ومللت الجلوس معهم، ولا ريب أني منصاع إلى نصيحتك"، سُرّ فرج بما قال، وتهلل وجهه، فهو لا يرجو له غير الخير.

عاد لمنزله وقد ابتاع لزوجته ما تحتاج من مأكل ومشرب، ما إن حَطّت قدمه شقتهم المتواضعة حتى دارت به الدنيا ووقع على الأرض، هرعت إليه زوجته تسعفه، فلما أفاق تنهد في ذعر وهو يقول: "الحيّة الحيّة، الشيطان الشيطان"، متعجبة مما أصابه، وسعت لتهدئته قائلة: "أيّة حيّة؟، وأيّ شيطان؟، لا ريب أنّك تحلم"، أشار إلى الأرض وقال: "هناك، انظري إنّها هناك"، فلما أبصرت ما حولها لم تر شيئًا، فقالت له: "لا ريب أنّك تتوهم، فليس في شقتنا أفاعي ولا حَيّات ".

فردّ عليها: "إنّكِ لن تصدقيني يا خلود حتى أُخْرِجها لكِ بيدي"، طلبت منه أن يذهب للطبيب، لكنه نهض من فراشه، فلم يجد الحيّة المزعومة في شقته، ثم أخذ مزاجه يتعكر على غير عادته، ومال بعدها

إلى العزلة تارة، وتارة أخرى إلى النوم لفترات طويلة، وزادت المشاحنة بينه وبين زوجته، حتى أنه تركها في بيت أهلها ثلاثة أيام دون أن يراجعها، راغبًا في الانعزال عنها ليعيش في كهفه الخاص به، فلما عادت زوجته رأى الحيّة في المطبخ، فأراد أن يضربها بشيء فلم ير أمامه إلا السكين، فأمسك بالسكين وأقبل ليقتلها، فسقط مغشيًا عليه لا يتحرك، على وقع جلبته تلك أفاقت زوجته وهرعت لنجدته، فرأته أُغمي عليه في المطبخ ينزف الدم والسكين الدامية بإزائه، نقلته للمستشفى وَتَمّ إسْعَافه في الحال.

فلما أفاق سألته عما جرى له، فقال لها: "لا أتذكر شيئًا سوى أني رأيت الحيّة أمامي، وأمسكت بالسكين لأقتلها"، قالت له خلود مستنكرة: "وأي عاقل يقتل الحيّة بالسكين؟!"، غضب من حديثها فقال لها: "قولي إني مجنون يا خلود، لم أجد إلا السكين أمامي، فماذا أصنع؟"، تشنجت علاقته بها فتركها في بيت أهلها وسافر عنها إلى جورجيا دون أن يُوَدّعها، كانت بغيته أن يظلّ فيها أسبوع لكنه حين تعرف على فتاة راقت له مد سفرته لعدة أيام إضافية، عرض فيها على تلك الفتاة الزواج؛ فلم تجبه لذلك، وتعذرت حين عرفت أنه متزوج، فعاد إلى بلده وهو يشير لها أنه سيتخلص من زوجته ليرضيها، لكنها أبلغته أنها لن تقبل به على أي حال، وظلّ في شقته يومين متتالين لا يرى فيها إلا الكوابيس والأحلام المزعجة.

تَسَوّق حين فرغت شقته من الطعام، فرأى صاحبه فرج الذي نصحه بالرجوع إلى زوجته حين تفطن أنه على غير وفاق معها، وبعد عدة محاولات عادت خلود لمنزلها معززة مكرمة، بعد أيام أبلغته ببشارة أسعدته حين قالت له: "عائد إن ابنك يطرق بطني"، لم يصدق ما قالته له، وقال: "هل صحيح ما تقوليه؟، بعد طول انتظار يأتينا الولد الموعود"، قال ذلك واتفقا على تسميته (وعد)، في اليوم التالي شاهد في المنام أن الشيطان تسير الحيّة من ذراعه إليه، فلما أفاق خَرّ مغشيًا عليه، هنا انصاع لرغبة زوجته في زيارة المستوصف، لكنه لم يكمل بقية العلاج، قائلًا لها: "أنا لست بحاجة للطبيب".

مرّت الأيام عليها سريعًا وقد تكوّر بطنها بأقصى تمدد حتى طرقها المخاض وأطلّ عليهم (وعد) بإطلالة رشيقة وبوجه صَبُوح شابه القمر، سر عائد بمقدم ابنه الأثير، وأقام الدنيا ولم يقعدها، عَقّ عنه، وجمع الأهل والأصدقاء لمأدبة ضخمة في اليوم السابع، فلما عاد إلى شقته رأى الحيّة تنظر إليه فأدرك أنها تستهدفه وأنها على وشك أن تهجم عليه، تناول عصا مكنسة التنظيف، وأخذ يضربها حتى أفلتت منه، قيل له عدة أقاويل منها: (أنه مسحور، أو أن عمل شر في شقته)، كما قيل له: (أن شقته مسكونة وعليه تغييرها)، لم يصدق تلك الأقوال، مع ذلك أبدل شقته بشقة أخرى، ودفع لترتيبها مبلغًا كبيرًا حتى استقر بها، وفي ذات الأسبوع رأى الحيّة في منامه والشيطان يحملها على عاتقه،

وكاد أن يُجَنّ جنونه، إلا أنه لم يرها إلا في الحلم ولم تظهر له في شقته الجديدة، فقال في سره: "لعلها شقة طيبة، خالية من الأفاعي والحيّات"، نصحه فرج أن ينفس عن نفسه وعن زوجته ولا سيما أنّها مرّت بتجربة ولادة، وأن في حيازتهما طفل يستحق منهما الرعاية.

انتخب عائد شاطئ البحر موقعًا للاستجمام، فلما انتقل مع زوجته وولده بسيارته إلى هناك انغرست عجلات السيّارة في الرمل، فلما حاول إخراجها تعمقت العجلات في الرمل أكثر، أخذ ينحني ليضع تحت العجلات أخشابًا وحجارة ليتخلص من المأزق، فإذا به يرى الحيّة تنظر إليه من أسفل سيارته، تذكر أن في سيارته مسدس محشو بالرصاص، فهرع للمسدس، وانطلق يلاحقها ليقضي عليها، فزحفت الحيّة ناحية البحر، ثم انعطفت باتجاه زوجته لتلدغها، فلما توثق أنه سيصيبها شهر نحوها مسدسه، وأفرغ عليها الرصاص في ثبات، صرخت خلود والدم يلطخ يدها وهي تقول: "مجنون .. مجنون .. لقد قتلت طفلي"، قال لها وعيونه تُحَدّق نحوها: "بل قتلت الحيّة، قتلت الشيطان"، حضرت الشرطة والإسعاف، وأدخل زوجها لمصح عقلي، ودوّن الطبيب تقريره أنه يتعاطى المخدرات وأنه مصاب بالذهان العقلي، أخذ عائد يضرب رأسه بالجدار حين عرف أنه لم يقتل لا حيّة ولا شيطانًا، إنما قتل ابنه الوحيد الذي ليس له غيره.

❁ ❁ ❁

(7)
راهب الجبال

داخله النور في لبّة أعماقه واستشعر عظمة الخالق، تلمس بأنامله فيوضاته السنيّة فأدرك طعم عبادته، أوحشته زهرة الدنيا وبهجتها، وكره الصفق في الأسواق والملهيات والزخارف الدنيوية التي تبعد القلب عن الخالق الجليل، كيف لا ينزوي؟، كيف لا ينعزل؟، وهو يعشق الاختلاء، رمق بعيونه الأنحاء وأخذ يتخير أيّ البقاع أحبّ إلى قلبه؟، عشق أن يبتعد عن الضوضاء، لذلك وقع بصره أن يعتكف في صومعة فوق ذرى الجبال، فوق قمة عزلاء، في كهف بعيد، لا يشغله شاغل عن عبادة الله القهار.

بجهد جهيد بلغ القمة وعثر على غار في نتوء أحد الجبال، فلما استنشق العليل ولسعته برودة الهواء، تدثر بالصوف الخشن وغرق في الداخل يسح الدمع ويجرفه البكاء، اختلى بالصلوات والتهجد وعكف يتمايل كنخلة يعصفها الريح في يوم رطيب، لم يشغله عن ذلك التقرب شيء، حتى سمع أنينه شيطان بالجوار فصم الشيطان أذنيه، وقال: "يا ويلي من هذا العابد الزاهد، يا ويلي من هذا الراهب المتبتل"، فكلما سعى للإيقاع به، لم يتمكن منه، وكيف يبلغه وهو لا ينقطع عن العبادة؟،

ولا يفتر عن الصلوات؟.

مرّت على هذا العابد الزاهد السنون الطوال وهو في خلوته، لا يكدر خلوته شيء، ولا يقارب وحدته أحد، حتى استرسلت لحيته، وبدأ يغزوه الهرم والبياض، صرخ الشيطان حين أعيته الحيلة وعجز عن الإيقاع به، فهرع إلى إبليس الزعيم، وروى له يأسه من هذا الراهب المتوحد في مغارته، فقال له إبليس بعد أن ضحك، ولمعت عيناه وهو يأكل تفاحة بسكين: "إن إغواء هذا الراهب كشربة ماء، فلا تغرّنك طنطنته وكثرة عبادته، فهبة ريح خفيفة ترديه"، تعجب الشيطان، وقال بعد أن حرك ذيله في انزعاج: "وكيف وأنا لم أقدر عليه؟"، حدجه إبليس بعيونه الحمراء وقال له: "النساء نقطة ضعفه، فعليك أن تغويه بامرأة حسناء ينتهي كل شيء"، شرب الشيطان خمرته دفعة واحدة، وقال له في اضطراب: "إنه لا يخرج من مغارته، ومن الصعب أن تبلغ النساء إليه"، أجابه إبليس: "يا أحمق، لن تبلغه النساء، إنما وظيفتك أن تُزيّن له الهبوط إلى الأرض، فإذا تمكنت من ذلك سهل عليك كل شيء"، قالها إبليس وخرج لاجتماع آخر تحفه الشياطين.

ظلّ الشيطان يتقلب طيلة الليل كيف له أن ينجز مهمته؟، فلما كانت الأيام ماطرة لم تتوقف فيها السماء عن إرسال غيثها، قال: "لا سبيل إليه حتى يتوقف المطر"، فأخذ يدير الدوائر والعابد يلهج ضارعًا باكيًا ينافس السحاب المطير، فلما طلع النهار توقف المطر، وظهرت

الشمس بروعتها، تحول الشيطان إلى طائر غريد ملون الأرياش فأخذ يغرد صادحًا دون توقف، التفت الراهب إلى الطائر الجميل، فسحرته ألوانه، وأخذ ينظر للدنيا التي اكتست بلون السندس الأخضر، فتذكر عظمة الله وقدرته، وخشع لما رأى قلبه، فتقدم، وتقدم، فجال في خاطره أن ينظر لمخلوقات الله وعظمة صنعه ليزداد خضوعًا وخشوعًا لخالقه، وهكذا عزم على أن يخرج من صومعته التي لم يخرج منها طيلة ستين سنة.

هبط من الجبل وفي يده رغيفين ينوي إطعامهما الطيور، فبينما هو يهبط لاحت له بركة ماء صافية بين أدغال الشجر، فنوى أن يغتسل فيها، ويعود لصومعته، هبط حذرًا، وأخذ يسير بين الأشجار قاصدًا بركة الماء التي صنعتها الأمطار، فلما أزاح أغصان شجرة اعترضته، رأى أمامه غادة حسناء ترغب فيما كان يرغب، فلما رآها أسقط بين يديها، ولم ير نفسه إلا قد انتهك حرمتها، وفعل بها ما لم يخطر له على بال، فلما ولت الفتاة البهية قال في نفسه: "ماذا صنعت بها؟، ولماذا خرجت من صومعتي؟"، رمى بنفسه في بركة الماء، ليستحم، فرأى رجلًا فقيرًا يقترب من أقراصه، فأشار الراهب له أن يأخذهما، برهة قصيرة حتى فرغ من غسله، ولما أراد صعود الجبل انزلقت به قدمه، وسقط، ومات من فوره، فرح الشيطان أيما فرح حينما أدرك فيه بغيته في يومه الأخير، يوم منيته وقال له إبليس: "ألم أقل لك لا تغرك عبادته، وإن نقطة ضعفه

النساء"، أجابه الشيطان فرحًا مسرورًا بانتصاره المُؤزّر : "صدقت، ولولا مشورتك لدخل الجنّة من أوسع أبوابها".

بعد أن طعم الفقير قرصيه، وشرب عليهما الماء القراح، رأى جثمان الراهب فأخبر أهل القرية، فحملوه وأقبروه في قبره، فلما جاءت ساعة حسابه تقدمت إليه زبانية جهنم وساقته إلى الميزان لإحصاء أعماله، وضعت الملائكة أعماله وسنين عبادته في كفه، والفاحشة التي فعلها في كفه، فرجحت كفة السيئات، فساقته ملائكة النّار إلى جهنم بالأغلال، وبعدما كاد الراهب أن يبلغ سعير جهنم، قال خازن الجنّة لخازن النّار تمهل، فإن لهذا العبد صدقة دفعها بعد فعلته ولم نضعها في حسناته، وضعت الملائكة أرغفة الخبز في حسنات الراهب، فرجحت على سيئاته فابيض وجهه ونقلته ملائكة الجنّة إلى روح وريحان ورحمة وغفران.

(8)
ظلّال الشيطان

ابتاعت لها سيارة خضراء كلون أوراق الصفصاف، أقلت ابنها ذا الأربع سنوات لرياض الأطفال في أربيل، ثم ابتاعت لأمها دواءً من صيدلية تقع بالجوار، قالت لابنها قبل أن تودعه: "كن عاقلًا يا رسلان، وتجنب المخاطر في الرحلة"، طبعت قبلتها على خده ومسَّدت شعره برفق ثم هَزّت له أصابعها وودعته، عادت إلى منزلها لتعطي والدتها الدواء، وهي تتذكر أنها لا تقبل شربه، ومع ذلك ابتاعته لها امتثالًا لأوامر الطبيب، لم تتأخر عنها إلا ثلاثون دقيقة فصلتها عن أمها، أوقدت المصابيح وخاطبت أمها وسكبت لها كأس الماء وفتحت علبة الدواء، إلا أنّ أمها لم تجبها، حَدّقت النظر في وجهها فإذا هي ميتة، نوبة بكاء صادمة اجتاحتها، أجرت اتصالًا سريعًا، وعلى الفور حضرت سيارة الإسعاف دقائق معدودة نقلت بعدها للمستشفى، وهي تتمتم في أعماقها: "لعلّ الراحل يعود"، هذا ما رجته، لكن القضاء هو الحكم، وهكذا فقدت كل ما تبقى لها من أمل، ومرّت عليها الأيام كمذاق الحنظلّ، إذ لا طعم للزهور بلا رائحة ولا سعادة للحياة دون أم.

كتبت في دفترها خواطر عن أمها، ودوّنت اسمها في صفحات

يعتصرها الألم، فلم يكن منها إلا أن مزقت الكآبة برحلة إلى جزيرة زنجبار في تنزانيا حيث الشواطئ الذهبية وصفاء المياه الفيروزية، هربت من كل الأحزان لتلقي بالعالم وراءها، لم يكن برفقتها غير ابنها الوحيد رسلان، وفي (ستون تاون)، تلاحمت العيون، وبدأ النبض بالعزف، حين وقع شاب ثلاثيني في حُبّها فتزوجته، لم يكن ذلك الشاب ميسورًا كما توقعت، لهذا رممت منزلها، وأعادت له الرونق بالطلاء، ليكن لهما بيت الزوجية، لم يكن لرسلان غرفة إلا غرفة جدته الراحلة، ومنها بدأت كوابيس نومه، ما كانت تظن أمه أن الأمر يستحق مزيد قلق، واعتبرتها مجرد أحلام سيئة تزول بزوال الأيام، غير أن الأيام كشفت لها استفحال الأمر حتى بدأت على جسد ابنها بقع حمراء وخضراء مائلة للزرقة، رغم القلق الذي ساورها في لحظة رؤيتها إلا أنها لم تدر له مزيد بال، ولم تبدأ تهتم بموضوع ابنها رسلان إلا حينما أشار لزوجها ناظم، وقال عنه إنه شيطان، غضب ناظم من الشتيمة التي وقعت في حقه رغم أنه كان يعتبر رسلان ابنًا له، وتبخر منه الغضب فورًا حين أشار بإصبعه وهو مغمض العينين ناحية النافذة: "إنه هناك، إنه الشيطان الأسود، يهرب من النافذة"، وفي لحظة مفاجأة وضع رسلان يديه على رأسه وصرخ صرخة مُدوّية فقد فيها وعيه.

منذ هذه اللحظة وضعت أمر ابنها في قائمة أولوياتها، حمله ناظم بين ذراعيه ونقلوه للمشفى، وعاد رسلان إلى الحياة وكأنّ شيئًا لم

يكن، رجع رسلان إلى المنزل، وعادت له الأشباح والتصاوير والظلّال التي يسميها الجنّ والعفاريت والشيطان، سمعت له وكانت قريبة منه، وأخذ يروي لها كوابيسه التي يراها، ويستيقظ منها فزعًا مرعوبًا، فسألته: "ماهي الكوابيس التي رأيتها؟"، أجابها رسلان: "أرى أن رجلًا قبيح المنظر يلاحقني، فأهرب من بين يديه، وهو يتبعني، ولا يبغي أحدًا سواي، حتى أرى نفسي محاصرًا بجوار بركة ماء، حينها يتمكن مني، ويدفعني في البركة ليقتلني غرقًا"، سألته: "وماذا ترى أيضًا يا رسلان؟"، "أرى ذات الشيطان يلاحقني في يوم آخر، فأهرب منه في الطريق، فيتبعني وأنا أجري بكل سرعة، حتى يحاصرني شارع سير سريع تخطر فيه السيارات بجنون، فيدفعني لأموت دهسًا تحت عجلاتها"، تضمه إلى صدرها فيروي لها حلمًا مشابهًا وهو يقول: "هذا الشيطان يراودني كل ليلة، فبالأمس لحق بي، وصعدت مبنى وهو يتبعني، حتى إذا بلغت أعلى العمارة قذف بي من شاهق، فاستيقظت فزعًا مرتاعًا مما أراه"، تمسح الأم الرؤوم بيدها على وجهه، وتتلو عليه الأذكار، ثم يريها كدمات في سائر جسده، وهو يقول لها: "إن ظلّ هذا الشيطان يأتيني حتى في يقظتي، أراه كلما أغمضت عيني"، تقول له أمه: "ليس بك إلا السلامة يا بني"، أخذت تسأله إن كان وقع له حادث مشابه في اليقظة، وهو ينفي لها وقع شيء من ذلك، حتى قال لها: "لم يدفعني في حياتي إلا زميلي سليم في البركة يوم الرحلة"، عاتبته أمه، وقالت له: "لماذا

لم تخبرني بما حصل لك؟"، أجابها وقد أطرق بعفوية وبراءة: "كنتِ تبكين على جدتي طيلة اليوم، ولم أتمكن من إخبارِكِ"، هنا أخذته لطبيب مختص، اسمه الدكتور أويس، وتعجبت من ابنها حين رمى على الطبيب علبة ماء، وأطلق عليه اسم الشيطان، خرجت من فورها مع ابنها حين لم يقبل بهذا الطبيب المعالج، وهدأت من روعه.

وهكذا ظلّت ترعى ابنها مما أدى لنفور زوجها ناظم منها، سعت إلى إفهامه أنّ ابنها يعيش في أزمة نفسيّة، ولن تسمح لنفسها أن تتركه يموت خوفًا ورعبًا وهي في فراش الأنس، احتمل ناظم منها هذا البعاد بعض الأيام لكنه حين طالت عليه الشقة، تركها وبعد حين طلقها، ولم تراجعه في قرارها وهي ترى أنها المسؤولة الأولى عن تربية هذا اليتيم، وذكرته أن شرطها أن لا تتخلى عن تربية ابنها الوحيد مهما حدث، أبلغها أن الأمر لا يطاق وأنه فوق الاحتمال، فلما انفصلت عنه حمدت الله أنها لم تنجب منه شيئًا، وظلّت مع ابنها ترعاه، وتتولى العناية به، فلا هم لها سواه، خطر في بالها أن تنقله إلى طبيب آخر سمعت أنه متمكن في عمله اسمه دكتور حامد كليم، قيل لها إنه لا يقدم على العلاج من فوره حتى يضع بينه وبين الطفل المريض عدة مقدمات منها تكوين صداقة معه، ويتقرب منه ثم يتعرف على المشكلة التي يعاني منها، وفي المرحلة الأخيرة يبدأ العلاج.

رأت (أمل) أن الأمل في هذا الطبيب، فلما روت له أنها أدخلته

على أحد الأطباء، فوصفه بأنه (شيطان)، طلب منها أن يراه في الحديقة، وأوصاها أن تكتم عنه أنه طبيب، وأبلغها أن الهدف بلوغ العلاج لا زيارة العيادة، نجح الطبيب في توطيد العلاقة مع رسلان حيث أحضر معه كرة قدم وبعض المكسرات، وطلب منه أن يلعب معه طيلة الوقت، كان الدكتور حامد صبورًا على رسلان، ثم بعد عدة لقاءات جلس معه يشربان العصير، التقى بأم رسلان، وأبلغها بما توصل إليه، وقال لها: "أبلغني ابنك أنّ جدته المتوفاة كانت تروي له قصصًا مخيفة من التراث القديم، وأن هذه القصص ظلّت محفورة في صدره، ثم تصادف تعرضه لحادث غرق في ذات اليوم الذي رحلت فيه جدته، وتفاقم الأمر حين كانت غرفة جدته المتوفاة مكان نومه وحيدًا، وهو لا يزال طفلًا صغيرًا".

فقالت له وقد اتضحت أمامها الأسباب: "وما هو العلاج برأيك؟"، تنهد الطبيب، وقال لها بعد تمحيص: "العلاج سيكون سهلًا لو تعرفنا على المشكلة في وقت مبكر، ومع ذلك علينا أن نسعى بقدر الإمكان"، ثم وضع لها ملاحظاته على الورق وقال لها: "من المهم تغيير البيئة، على الأقل تغيير غرفة جدته، اخلقي له أجواء الاسترخاء قبل النوم كالاستحمام بالماء الدافئ، وقراءة القصص قبل نومه، وتهيئة غرفة النوم لتكن مريحة وهادئة، ومن المهم أن تنامي مع الطفل في بداية الأمر، وأن تهدئيه حين يرى أي كابوس، اجعليه يروي لكِ ما يرى، ثم ابتسمي في وجهه واطلبي منه تغيير النهاية حتى تصبح سعيدة ومفرحة"، طلبت منه

الورقة التي دوّن عليها ما قاله لها، ثم قال لها وهي تنصرف: "اجعليه يستخدم بطانيّة مريحة يُحبّها وانقلي بعض الدمى إلى فراشه، ، ولتكن الغرفة مضاءة دائمًا بإضاءة مناسبة حتى يشعر بالأمان".

(9)

صائد السمك

في زحمة حياة إحدى القرى المطلّة على شاطئ البحر تسكن في بيت متواضع أسرة رجل يحترف صيد الأسماك، ظلّ طيلة وقته وفيًّا لزوجته مربيًا لأبنائه الستة، أربعة منهم ذكور وهم: (كامل، ولبيد، ومبارك، وسعيد)، بالإضافة إلى فتاتين يافعتين هما: (نهلاء، وبدور)، رغم فقرهم إلا أنهم كانوا سعداء، يرقبون عودة أبيهم محملًا بالخيرات، ليزيح عنهم بردة الفقر وشظف العيش البئيس، خرج أبو كامل مع بزوغ ضوء الفجر من داره لينقل خطوه إلى ساحل البحر يدفع زورقه المتهالك إلى الموج الزاخر، قفز قفزة واسعة، وثبت فوق زورقه عند سقوط أول خيط من خيوط الشمس التي بدأت تتنفس بانشراح، رقصت النّوارس وهبت الريح، وأخذ يجدف بمجدافيه الخشبيين سطح الماء، فاندفع بزورقه للأمام ليتوسط بقعة اختارها بعناية يتوقع تزاحم أسراب الأسماك تحتها، ذكر اسم الله القدير، وألقى بشباكه دفعة واحدة، أخذت خيوط الشبكة تتراقص مع حركة الموج، وتتوغل في الأعماق، ظلّ الصيّاد يترقب ما تكتنزه شبكته غير أن الآمال خابت وظنونه خذلته، أعاد رمي الشبكة للمرّة الثانية، وذكر اسم الله القدير، فلم تفلح بشيء، فخاب ظنه

فيما رجى وتذكر في خياله ووجدانه ابتسامة الصغار حين وعدهم بما يثلج الصدر، ثم أعاد للكرّة للمرّة الثالثة بعد أن ذكر اسم الله القدير.

ظلّ ساهمًا يُقلّب خواطره ماذا عساه أن يصنع حين لا تنجذب الشبكة بما يسر الفؤاد؟، وبينما هو في خيبة أمله، أحسّ بشيء يحرك الشبكة، ويسحبها للقاع، فأسرع في سحبها بمهارته المعهودة حتى لا تفلت منه الأسماك التي رقص لها قلبه، استشعر أن الحمولة ثقيلة فأمسكها بعزم صلب وجذبها بإرادة فولاذيّة، لمح ذيل السمكة من أطرافها فتعجب من ضخامته، وجذبها إليه ظانًّا منه أنها سمكة شَبّوط عملاقة، ما إن وقعت بين يديه، حتى سحرت عيناه بالذهول، إذ لم تكن في شبكته إلا حوريّة بحر أذهلته، فهتف صارخًا: "يا الله، جنيّة بحر!"، لم يكن شاهد حوريّة طيلة عمره المديد، إنما سمع عنها في الحكايات والأقاصيص، وظنها من نسج الخيال، أما الآن فهو يراها بأم عينه ولا سبيل للنكران، فلما لمسها بالمجداف وجدها حيّة نصفها السفلي ذيل سمكة والعلوي يشبه الإنسان بجسم بحري فريد لم ير له مثيل، فلما تكلمت الحوريّة تعجب، وقال: "هل أنا في حلم؟، أم هو محض خيال؟"، قالت الحوريّة بقلب مضطرب وعيون حزينة دامعة حين رأت نفسها رهن قبضته: "أيها الصيّاد النبيل أخرجني من محبسي، وسأعطيك خاتمي النفيس هذا"، قالتها له ثم أعقبت: "إنه سيغنيك عني، فخلصني قبل أن تهلك وأغرق زورقك"، دفعت إليه خاتمها بعد أن نزعته من

أصبعها، فلما رآه يلمع تحت أشعة الشمس راق له بريقه حين حلّ في يده، فاستعجلته قائلة: "هيا أخرجني والخاتم لك".

لمح الصيّاد على البعد سفينة تقترب، فخطر في نفسه أنه لو أخبرهم بما رأى لما صدقه أحد، وأنه سيحصل منهم على مبلغ كبير حين يبيعها لهم، فهي لا تقل عن اللؤلؤة ندرة وغلاء، رمقته الحوريّة بعيونها، ففهمت من عينيه روح الطمع، هزت حوريّة البحر زورقه بذيلها فارتج تحت قدميه، وقالت له: "إن لم تسرع في إخراجي سأقلب الزورق على رأسك"، وحين اضطرب الزورق من ثورة حركتها النافرة، أدرك أنه هالك تحت سطوة ذيلها وأن زورقه سيتحطم وقد لا تحالفه النجاة، عندها فكّ خيوط الشبكة، وأسرع في إخراجها في الحال، وسرعان ما انزلقت في أعماق البحر سربا، قال في نفسه: "هل أنا في يقظة؟ أم منام؟".

لم يصدق عينيه لولا أن الخاتم في يده يبرق، ويلمع تحت أشعة الشمس المرسلة، تنهد حين خرج من هذه الورطة بخاتم ثمين، دعك فصه ليرى نقاوة الحجر، فاهتز للوراء راجفًا حين أفزعه عروج دخان كثيف متراكم سَدّ عليه الفضاء بهالة شيطان مارد، ذعر من مشهده، وهابه منظره، فقال الشيطان بصوت عميق أجش أرعبه في وهلته الأولى: "أنا مارد الخاتم، ولك عندي ثلاث طلبات محققات، في قبالة طلب واحد تهبني إياه"، ابتلع الصيّاد ريقه وكأنّه مُعَلّق في حلم عجيب، وحين هدأت

سورة خوفه وهلعه، واستجمع قواه، وتجالد مع نفسه، لم يطلب شيئًا، إنما قال لمارد الخاتم: "قل لي أولًا ما هو طلبك لأرى؟"، تمتم المارد قائلًا وكأنّه يشق الغيوب: "طلبي أن تهبني ابنك السابع ليكون لي، فأولادك كثر ولن تضرك العطيّة قبالة ما سأمنحك"، وحين لم يكن لدى الصيّاد إلا ستة أبناء، ابتسم وقال في نفسه: "لعلّه ظنّ أن أبنائي سبعة"، فهزّ الصيّاد رأسه موافقًا على طلبه ليحقق له طلباته الثلاث، فأخذ يعدد الصيّاد إليه أمانيه قائلًا: "أعطني ثلاثة أكياس من الذهب، وهبني تاج المَلِك، ودجاجة تبيض لي في كل يوم بيضة ذهبيّة"، في طرفة عين ألقى له المارد حاجاته الثلاث وغاب عين عينيه كزوبعة الريح وتلاشى.

عاد الصيّاد إلى منزله بدجاجته وتاج الملك والأكياس الثلاث، فلما رأته زوجته أبلغته أنها تحمل له في أحشائها ابنًا سابعًا، هنا اغتم الصيّاد مما قالته، وأدرك أنه سيكون من نصيب الشيطان المارد، ولم يخبرها عن أمر مارد الخاتم وقصته، وأخذ يتفكر ماذا يصنع ببليته؟، حتى غطّ في نوم عميق، فلما أفاق قالت له زوجته: "قم، وتناول طعامك، فإنك لن تتذوق أشهى منه"، نظر إلى مائدة الطعام فازداد غمه غمًا حين رآها قد قدمت له الدجاجة التي تبيض الذهب، فقال لها: "ماذا فعلتِ بالدجاجة؟، إنها دجاجة عجيبة تبيض كل يوم بيضة من ذهب"، لم تصدق حديثه، وبعد أن أقسم لها لامته حين لم يخبرها عن حكايته، فقصّ عليها قصته مع الحوريّة والشيطان المارد، واخفى عنها أمر بيع

ابنه السابع للشيطان، حتى لا يفجعها وهي لا تزال حاملًا به، قالت له زوجته حين خشيت أن يضيع منهم الثراء: "عليك أن توزع أكياس الذهب بالعقل والحكمة، فواحد تسدّ به ديونك، وآخر تصنع لنا به بيتًا عوضًا عن هذا الحطام، أما الثالث فتقسمه لثلاثة أقسام تدخر لنا منه جزءً، وتنفق لنا منه جزءً، وأما الثالث فتصرفه لما تحتاج لحرفتك، فهي قوام عيشنا.

سمع الصيّاد لكلام زوجته، فظلّ في شغل شاغل حتى بنى لهم دارًا كبيرة فسيحة، ابتهج له الجميع، وفي يوم من أيام الهناء طرق عليه الباب طارق، ما إن فتحه حتى رأى أمامه رجال الملك وجنوده مدججين بالسلاح وقد اقتحموا عليه داره، فما هي إلا لحظات حتى قبضوا عليه ليلقوه في غيابة السجن، واتهموه بسرقة تاج الملك، حين عثروا عليه في خزانته وبين أمواله، قال لهم الصيّاد حين شدوا عليه الوثاق: "أنا لستُ سارقًا، وإن لهذا التاج حكاية"، إلا أنهم لم يمهلوه فأخذت زوجته وأبناؤه بالبكاء، وهو معصوب العينين مكتوف اليدين.

ألقي بالصيّاد في زنزانة الحبس، واظلّمت عليه الدنيا، فلم يكن له في سجنه ضياءً إلا مشعلًا وحيدًا وضعه الحراس ليقدموا له الخبز والماء حتى لا يموت، ريثما يرى فيه الملك رأيه، أعاد الصيّاد على نفسه شريط ذاكرته علّه يرى لنفسه خلاصًا مما هو فيه فلم يجد، فتاج الملك أوقعه في هذه الورطة، ولم يجن منه غير الشقاء، وبينما هو يفكر

في حاله سقطت منه نظرة على الخاتم الذي لا يزال في أصبعه، فدعكه للمرّة الثانية حين قدح في عقله الحل، ومن فوره ظهر له الشيطان المارد، فطلب منه ثلاث طلبات متواليات قبالة طلب واحد للمارد، وقبل أن يعرض عليه أشياءه وطلباته سأله عن طلبه، فقال له الشيطان: "طلبي أن تعطيني منزلك الواسع المريح"، وافق الصيّاد على شرطه وأخذ يعدد عليه طلباته الثلاث، حيث قال له: "أطلب منك أن تخلصني من هذا السجن، وأن تهب لي ابني السابع الذي وهبته لك، وأن تعطيني دجاجة أخرى تبيض لي بيضة ذهبيّة كل يوم"، ضحك الشيطان المارد، وقال له آسفًا: "أنا لا أعطيك شيئًا وهبتني إياه"، هنا قال له الصيّاد بعد أن استنفذ كل محاولاته: "إذا قبلت طلبي فإني أهبك هذا الخاتم"، فلما لم يوافق المارد أدنى الصيّاد منه المشعل وكاد أن يحرق الخاتم، فصرخ الشيطان قائلًا: "لا تحرق عليّ بيتي، فقد وافقت على أن تلقي الخاتم في قلب البحر، فور خروجك من السجن".

في تلك اللحظة بالتمام أطلق الملك سراح الصيّاد وأعلن براءته، ترك الصيّاد للشيطان بيته الجديد، وعاد لداره القديمة، بعد أن قبض منه على دجاجة سوداء اللون هذه المرّة خلافًا لأختها، ألقى الصيّاد الخاتم في قلب البحر، فتعجب حين اختفى الخاتم في الهواء ولم يلامس سطح الماء، مرّت عليه الأيام وهو يترقب إنجاب ابنه السابع، فلما ولدت زوجته كان وجه ابنه أسود اللون كلون الدجاجة البيّاضة، ولا

يكاد يتنفس، عجز جميع الحكماء عن علاجه، وكان دائم البكاء مثقل الأنفاس، فلما عرضه على كاهن خبير يداوي المرضى، قال لهم: "إنه مصاب بالمسّ، وعلاجه أن تذبح تحت أقدامه دجاجة سوداء، كلون وجهه"، فتعجب الصيّاد من حديث الكاهن الذي لم ير الدجاجة، ولم يعرف قصتها، قلّب حديث الكاهن في رأسه فرأى أن فيه رجاحة، وهو يتمتم قائلًا: "إن القناعة خير لي من أي كنز"، فقرر أن يذبح الدجاجة رغم رفض زوجته، وقال لها: "إن سلامة ابني أعز عليّ من مائة دجاجة تبيض لي الذهب كل يوم"، ما إن ذبح الدجاجة، وسالت منها الدماء على قدميه حتى رجع لابنه لونه الطبيعي، وتنفس الهواء بانشراح، وعاشوا في هناء.

(10)

زورق الساقية

في أول أيام شهر رمضان أستشعر الفيوضات والرحمات، أستشعر أن رذاذًا غير مرئي يهطل على الجميع كما تتهاوى ندف الثلج الخفيفة كالقطن الطائر، تبسم وهو يرمق القمر البهيج وهو يقول: "إنها الليلة الأولى من ليالي شهر رمضان، في هذا الشهر تُفتح أبواب الجنّة، وتُغلق أبواب النّار، وتُصفّد الشياطين"، دخل إلى منزله، وأخذ يتلو بعض الآيات وبعض الأذكار، فذكر أمه الراحلة، وتناول صورتها التي بجواره، فقال في نفسه: "لماذا هجرتُ قبركِ يا أمي؟"، سكت لحظة، ثم قال وهو يرجع صورتها في مكانها: "غدًا بعون الله أزوركِ، غدًا هو أول أيام الشهر الفضيل، لن أنسى زيارتكِ فيه".

تثاءب وقبل أن ينام اغتسل، ثم بات في فراشه، فرأى فيما يرى النائم أنه في حديقة جميلة تحيطها الأزهار، فلما قطف وردة رأى أمه، فابتسم، واقترب نحوها ليعطيها الوردة وليسلم عليها، لم تفطن إليه، لذا ذهبت، وتلاشت عن عينيه، فسمع في الجوار خلف الأشجار حركة مريبة، وظن أنّ المختبئ كلب أو حيوان، فلما دنى من مصدر الحركة، رأى رجلًا في فمه غليون يدخن، وينفث الدخان في كسل، حَدّق فيه

وهو يقترب منه فارتعدت فرائصه، وألقي في روعه أنه إبليس، فلما نفث الشيطان الدخان من فمه للمرّة الثانية، قال له في ابتسامة خبيثة: "ماذا قلت عني يا زاهر؟"، تعجب كيف يعرف اسمه وهو لم يره من قبل؟، فتقدم نحوه، وقال له: "من؟، أنا؟، لم أقل عنك شيئًا ولم ألتقيك من قبل، فكيف عرفت اسمي؟"، أجابه بعد أن نفث الدخان للمرّة الثالثة، وتكلم دون أن يخرج طرف الغليون من فمه: "أما تعلم أني أجري من ابن آدم مجرى الدم؟، ماذا قلت عني يا زاهر؟"، "لم أقل عنك شيئًا"، في كسل دون مبالاة نفث الدخان للمرّة الرابعة، وقال: "ألم تقل أن الشياطين تُصفّد في هذا الشهر؟، أنظر إلى معصمي، هل ترى فيها غل أو قيدًا؟"، أجابه متعجبًا: "كلا، لا أرى فيها أي قيد، ولكن ما أعرفه أن جميع الشياطين تقيد في شهر رمضان"، ضحك الشيطان والدخان يخرج من فمه وأنفه بطريقة عجيبة، ثم أخذ في السعال، وقال بعد أن مسح دمعة سقطت من عينه من فرط الضحك وقال: "مسكين أنت يا ابن آدم، تظنّ الشيطان بلا عقل ولا دراية"، وقف الشيطان على قدميه وبدا له طويلًا مهابًا حتى كاد أن يكسر الغليون في يده، وقال وهو يشير إليه بإصبعه القبيحة: "اعلم يا زاهر أن لي قدرات وتدابير"، ثم جذبه من يده وقال له: "اتبعني لأريك شيئًا"، فلما تبعه توقف الشيطان أمام ساقية، ففرقع إبليس بأصابعه في الهواء فإذا بيده يحل بها زورق جميل بحجم راحة الكف، وقال: "هب أن أقدامي ويدي مغلولتان، فالأمر لدي سيان،

وحيلتي كهذا الزورق، فانظر إلى أين يتجه؟"، وألقى الشيطان زورقه في الساقية، ثم جذب زاهرًا من ذراعه وقال له اتبعني، وأخذ زاهر يتبعه دون أن يدري إلى أين؟، ومن أين؟، حتى إذا بلغ صخرة بعيدة، جلس فوقها في هدوء وعاود التدخين في كسل وهو يقول: "هذا كل شيء، لقد انتهت مهمتي"، نظر زاهر إليه متعجبًا دون أن يفهم منه شيئًا وقال: "لم أفهم ماذا تريد قوله؟"، نفث الدخان في برود وقال: "إن ابن آدم بطيء الفهم"، ثم أعقب: "انظر إلى الساقية التي تجري بإزاء أقدامي لترى مهارتي"، فلما لم ير أي شيء، قال له: "إني لا أرى شيئًا"، فقال له الشيطان: "من طبيعة ابن آدم العجلة، وعدم الصبر، ومن طبعي الصبر والأناة حتى أبلغ مرادي، أو يبلغني المراد"، وأشار إلى منعطف الساقية البعيد، وقال: "لا يفوتنك المشهد"، فإذا به يرى الزورق يشق الماء ويتقدم ناحية أقدام الشيطان فبهدوء مَدّ إليه إبليس يده القبيحة، وانتزعه من الساقية حين توقف أمامه، وقال: "ببساطة هذا ما أفعله، إن هذا الشهر يوم إجازتي واستجمامي، ولا يعني أني بلا عمل، إن لي في هذا الشهر سواقي وجنود، ولا يعزب عني شيء"، أمسكه من تلابيبه، وقال له وكاد أن يخنقه: "إني أنا الشيطان المارد، إني أنا الشيطان الرجيم الذي رفض الأوامر وتجبر، وإن لي أتباعًا وجنودًا من الجنّ والإنس"، أفاق زاهر مستعيذًا بالله من شرور الأحلام ووساوس الشيطان.

ولما شرب الماء وقال: "إنني في أول الشهر، ماذا يعني الزورق؟،

وماذا تعني الساقية؟، وماذا يريد الشيطان أن يقول لي؟"، أجهد زاهر نفسه دون أن يعرف، وقال: "لعلّه صادق أن أبناء آدم ضعفاء في الفهم والاستيعاب"، فلما سمع صوت الأذان صلى وأكمل أموره كالمعتاد، فلما رنّت الساعة الثالثة ظهرًا، قال في نفسه: "والآن سأذهب لزيارة أمي".

ارتدى ملابسه وانطلق يسير على قدميه وهو يقول: "الهواء عليل، والمشي يذيب الشحوم والسموم"، فلما بلغ قبر والدته ووضع عليه الزهر ورشّه بالماء، وتلا الآيات رجع لمنزله وفي الطريق توقفت أمامه سيّارة برّاقة جذبته فحدثه مرافق السائق: "من أين؟، وإلى أين؟"، فلما تأمله فإذا به صاحبه عتيق، الذي ترجل وقال له: "سنوصلك إلى دارك"، لم يكن يرغب في الركوب، فلما نظر إلى السائق، فإذا بها غادة حسناء تخلب القلب واللّب، قال له صاحبه ليرغبه في الصعود: "إن لديها رخصة قيادة"، فرأى أنه من قلة الذوق أن لا يركب وكأنه يشكّ في مقدرتها، ولا يأمن، فلما وافق على الركوب وقلبه ينبض من مرأى هذه الغادة التي سحرته، واقتلعت قلبه، مدّ يده ليفتح الباب الخلفي، إلا أن صاحبه عتيق، أمسك يده وقال له من فوره: "الأكبر في المقدمة"، فركب في المقعد الأمامي حيث أعتاد هذا الأمر من كل شاب يصغره سنًّا، فأدرك أنه بجوار الحسناء الباسمة.

أخذ قلبه يدق ويدق، وهو لا يجرؤ على النظر نحوها خجلًا وحياءً

فتساقط منه العرق، وقال في نفسه: "المنزل قريب، ولا داعي للقلق"، هنا هتفت الغادة لعتيق: "إنه يلحقنا"، قال عتيق: "من يلحقنا يا ماريانا؟"، تأمل زاهر حسنها وانطباق الاسم عليها فلم يفق إلا على قولها لعتيق: "إنه صاحب السيّارة الزرقاء، يتبعنا"، "تخلصي منه كالمعتاد"، قال لها عتيق وهو ينظر وراءه، فقالت له: "لدي فكرة أفضل"، فشقت الطريق مسرعة وقد تجاوزت من الإشارة الخضراء كالسهم، وتوقفت السيّارة الزرقاء تحت سطوة الضوء الأحمر، فقال لها عتيق: "رائعة كعادتكِ يا ماريانا"، لم يفهم زاهر ما يجري، غير أن الفتاة الحسناء حين نظرت إلى البنزين يشارف على النفاد، قالت: "البنزين يا عتيق"، قال زاهر ليقطع صمته وقلبه لايزال يدق: "المحطة في الطريق الآخر يسارًا"، استجابت لفكرته، وضربت على المقود قائلة حين بدأت السيّارة تبتلع الوقود: "نسيت محفظتي يا عتيق".

استخرج زاهر محفظته بشهامة، وأخرج النقود، رفض عتيق أن يدفع لهما شيئًا، ووافق في الأخير على رغبة زاهر حين أصَرّ على موقفه وقال: "الأموال واحدة بين الأصدقاء"، قالت ماريانا مبتسمة: "هل أصبحنا أصدقاء؟"، قالتها فلم يجب حياءً، فتناولت منه المبلغ وقالت له باسمة في دلال: "شكرًا"، أجابها بهدوء: "عفوًا"، وانطلقت السيّارة تلتهم الطرقات، وقالت ماريانا في اعتذار: "لم يكن في الحسبان أن نأخذ أجرًا، وقد أطلنا عليك طريقك"، بدد زاهر قلقها حين وصل إلى منزله

قائلًا: "لم يحصل إلا الخير"، قالها، ثم شكرهما، وانصرف، غير أن قلبه لم ينصرف عنها، فظلّ يرمق انطلاقتها بسيارتها الفارهة وهي تُلَوّح له بيد راقصة حركت مياهه الراكدة، ظلّ يفكر فيها، ويعيد ما حدث وهو يضحك، ويبتسم، أدرك أنه أوقعها في حرج لاسيما أنه دفع لها من ماله، فشعر براحة غامرة بما فعله، وظلّ قلبه يتمنى لو طال به المقام معها، فقال في نفسه حين أدرك أنه لا لقاء سيجمعه بها: "لن أنساكِ"، ثم تمتم في غصة وجد: "وكيف للقلب أن ينسى؟".

بعد أيام أشترى بعض الفاكهة وفي طريق عودته توقفت أمامه تلك السيّارة الفارهة فرقص قلبه حين تأمل السائق، لم تكن غير غادته التي حلم بها طول لياليه الماضية، وتذكر اسمها في الحال، سبقته بالقول: "سأدفع لك الدين"، أجابها والغضب احتل محياه رفضًا، وقال: "أيّ دين؟، ما خرج منا لا يعود"، فابتسمت برقتها كالفراش لتبدد غيظه منها، وقالت برجاء: "إذا كنت مُصِرًّا، فاركب لإيصالك"، لم يكن ليوافق في الركوب معها لاسيما أنها دون مرافق، غير أن مشاعره وقلبه حسم الأمر، وجلس في ذات المقعد، فلما ركب، وأغلق باب السيّارة، وبدأ قلبه بالعزف والطنين قالت له وهي ترقب المرآة: "تبًا له، لايزال يتبعني"، فهم أنّ هناك من يلاحقها، فسألها والفضول يسيطر عليه: "من هذا الذي يتبعكِ؟"، لم تجبه فلقد كانت في عجله، لذا قالت في انهماك: "سأخبرك بقصته بعد أن أضلله عنا"، فلما سلكت طريقًا بعيدًا أنس قلبه أنه سيطول

بقاءه معها، واستبشر، فقالت له معتذرة: "أبعدت عليك الطريق للمرّة الثانية"، قال لها وقلبه في سرور: "لا بأس"، ثم أعاد عليها السؤال: "لم تخبريني لماذا يتبعكِ؟"، أجابته وهي تنطلق بمهارة: "إنه شاب سيء، قال لي إنه يريدني زوجة له، لكني اكتشفت سوابقه، فرفضته، ومنذ ذلك اليوم يصر على ملاحقتي، ولا أدري كيف أتخلص منه؟".

قال لها وقد تبرع لحمايتها: "دعيني أكلمه، فليس لائقًا أن نهرب منه كالجراد"، أجابته: "وكيف تكلمه وأنت لا تعرف من يكون؟"، فلما غابت الشمس، وكانا يتضوران جوعًا استخرج زاهر من الكيس تفاحة حمراء، ودفعها نحوها وكأنه يقدم لها قلبه، ابتسمت له وشكرته، وأخذت تمضغ التفاحة، وفعل مثل ما فعلت والغبطة تخامره، وهو يقول: "عليكِ أن تضعي له حدًا، وبإمكاني أن أتحدث معه"، نظرت إليه بعيون حالمة ومقدرة لتضحيته من أجلها، وقالت وهي مُصِرّة على موقفها: "لا أظن أنك ستنجح معه، ولكن سأفكر في عرضك، وسأخبرك برأيي لاحقًا"، اقتطع من كيس الفاكهة ورقة، ودون اسمه ورقمه، وقال لها حين وصل إلى منزله: "اتصلي بي حين يستقر رأيك على عرضي"، شكرته، وهبط مترجلًا في انشراح، من هذه النزهة السعيدة، ثم ألقى إليها بتفاحة حمراء أمسكت بها ببراعة، وقال: "تسلي بها في الطريق"، ثم لوّح بأصابعه مودعًا في هدوء.

أخذ يترقب اتصالها، لكنها لم تفعل وكأنها نسيته، شعر بالظمأ

نحوها، وتمنى لو كان معه هاتفها، ظلّ يسبح في غمرة ذكرياته معها، ويستحضر شريط المواقف، وقال في نفسه: "لعلّها وجدت حلًا لذلك المتطفل"، وفي لحظة من لحظات انشغاله اتصلت عليه، وأخبرته أنها لم تجد حلًا له وقبل أن يضع لها حلوله المقترحة، قالت له: "هل بإمكانك الخروج معي؟"، قبل مرافقتها ليخبرها بالحلول البديلة، فلما أنهت المكالمة حفظ رقمها ليعاود الاتصال بها وقت ما يشاء، ثم نبض قلبه حين أدرك أنه على موعد هام مع غادته الحسناء.

ما هي إلا لحظات حتى أطلت عليه حوريّة البدر، يعبق من مفرقها العبير، ابتسمت إليه وكاد قلبه أن يُحلّق مع الطيور، كتم أسراره العاطفيّة نحوها، وتصنع الجد، وقبل أن يستعرض ما لديه قالت: "لدي فكرة للتخلص منه"، أجابها: "ما فكرتكِ؟"، فأجابته: "لن يرتدع عن ملاحقتي إلا إذا استشعر الخوف"، ظن أنها تريد الإبلاغ عنه، فقال لها مستوضحًا: "لم أفهم، كيف ستشعرينه بالخوف؟"، أجابته: "إن هذا الطراز من الناس لا تنفع معهم المحاورة، ولا ينصاعون، ولا يرتدعون إلا إذا تمكنا من إخافته". فلما شاهد زاهر السيّارة الزرقاء تقترب منهما قال لها: "لم أفهم عليك تمامًا، ولكنه الآن خلفنا"، فلما رأته بالقرب منها أسرعت بسيارتها وأرت زاهر مسدسًا في درج السيّارة، وقالت: "هل جربت إطلاق النّار من قبل؟"، قال لها وقد تجمد الدم في عروقه: "ماذا ستفعلين؟"، قالت له مبتسمة: "المطلوب إطلاق الرصاص في

الهواء لإخافته، وإذا كنت تتقن التسديد وأظنك بارعًا فعليك إصابة عجلاته"، لم يكن مؤيدًا لفكرتها أبدًا، ورآها متهورة، ولكنه حين قلّب فكرتها رأى أن فيها شيئًا من الوجاهة، وتخيل نفسه حاذقًا ماهرًا يستطيع إصابة إطاراته إطارًا تلو آخر، بزهو أمسك المسدس، وقال لها مبتسمًا: "من أين لكِ هذا المسدس؟، وهل تم ترخيصه؟"، أجابته: "إنه خلفنا تمامًا، هل تستطيع؟"، قالتها وانهمكت بقيادة السيّارة، أخذ نفسًا عميقًا، وفتح زجاج النافذة، أدرك أن إطاراته في متناول يديه، وقال في نفسه: "رصاصة واحدة تفي بالغرض"، صوب جيدًا، ثم سحب الزناد، استدارت لليمين وقفزت السيّارة من المطب، وانطلقت الرصاصة في الهواء ولم تستقر إلا في قلبه فتلوت سيارته واصطدمت بسيّارة وقود فاشتعلت فيهما النيران، وانفجرت السيّارتان، فتقلبت سيّارتهما ولم يقف إلا خلف قضبان سجن لا يدري كيف دخله؟!

(11)

هداية إبليس

في أحضان الجامعة تعرّف أشرف على صديق موهوب له براعة في الرسم، يرى الوجوه لمرة واحدة، فيتمكن من رسمها على القرطاس بدقة، فلما أدرك أنه صديق متميز زامله، وحرص على مرافقته، لم ترق له كل صفاته وخصاله، فهو لا يلتزم بصلاة، ولا يعير اهتمامًا لشيء من أمور دينه، إذ لم يكن الدين يعنيه، أو يفكر به.

قال أشرف لصديقته مروة: "لو كانت الأمور طوع يدي لأصلحت زهران"، أما مروة صديقته تلك قالت له لتلقي عن كاهله هموم مسؤوليته: "لقد نصحته، وليست الهداية بيد البشر، وهذا يكفي" في إحدى المرّات قالت مروة لأشرف: "إن صديقتي تبحث عن رسام يرسم لها رسمة، لتجعلها غلافًا لرواية كتبتها عن الشيطان"، فقال أشرف: "إن زهران مبدع في الرسم، ولكن ماذا سأقول له؟، ارسم الشيطان؟، وكيف سيرسمه برأيكِ؟، مع ذلك سأبلغه وله الأمر"، في نهاية اليوم قالت مروة لصديقتها: "وجدت لكِ رسامًا موهوبًا ربما يرسم لكِ، لعلّكِ تعرفينه يا لمياء"، فلما ذكرت لها اسمه زهران ردّت عليها بقولها: "لا أعرفه، ولكن رسمه ما سينقصني".

تقابلت مروة بزهران فسألته عن الرسم، فاعتذر إليها قائلًا: "ليس رسم الشيطان سهلًا يا مروة، هل أرسمه بقرن أو قرنين؟، وهل له ذيل وشوكة كما في أفلام الكرتون؟"، أخذ زهران يضحك دون أن يلتفت للقادمة، فلما تلاقت عيون زهران ولمياء وقعت في قلبه واحمرّت وجنتاها خجلًا، فتمنى القرب منها دون أن يعرف أنها صاحبة الرواية، ودعته مروة وقبل أن ترافق صديقتها قالت له دون أن تدرك ما حَلّ به وأنها قد خلبته: "إنها صديقتي صاحبة الرواية التي ترفض الرسم لها"، عند ذلك تأسف زهران، وعكف يرسم، ويمزق الأوراق لأجلها، وأدرك أنه لن يصل إلى رسم يرضيه، فأطرق في حياء وصورة لمياء لا تبارح خياله.

أراد الاقتراب من لمياء، لكنها كانت في غاية التمنع والبعد عنه، وأدرك أنها تنزوي عنه، وتجافيه عامدة، فلما سأل مروة عن ابتعادها قالت له: "لا أدري"، ثم أبلغته بعد برهة: "إن لمياء فتاة دينة، ولا تصادق من هم على شاكلتك"، قالتها مروة، وأخذت تضحك لتخفف عنه وطأة الكلمات، لكنه غضب غاية الغضب من ترفعها، ورأى أنه لون من ألوان الغرور، إلا أنه ضل متعلقًا بها، ولا يعرف كيف الطريق إليها؟.

خاطب أشرف، وصارحه بمشاعره الصادقة للمياء وتحاشيها عن ملاقاته، ابتسم أشرف، وقال له: "أنتما من شجرتين مختلفتين، فكيف تهواها؟"، أطرق زهران، ثم قال لأشرف: "لا أدري، لكن القلب يفعل

ما يشاء وإني لأهواها"، ضحك أشرف، وقال: "النّار والثّلج في وعاء، لا أصدق ذلك"، انصرف زهران وهو يدرك أن من يرغب بها من وادٍ غير واديه، لذا قرر أن يزور بيئة يرى فيها ظلّالها، وهكذا دعاه الفضول للتعرف على عالمها، فلم يجد خيرًا من المسجد.

لم يدخل مسجدًا قط في حياته إلا أنه دخله من أجل مجنونته لمياء، وهو يقول: "لعينيكِ تُبدّل الأفاعي جلدها"، لم يكن يتوقع أن يتقبل ظرفه الجديد، وقد التقى بشيخ صوفي يرى العشق الإلهي له مسلكًا، فلما تعمق في الطريقة، أدرك أن عشقه للمياء ذرة من كثبان رمال وقطرة من موج بحار أمام حُبّ الله، وفي مرّة من المرّات، تحدث له الشيخ الصوفي عن الشيطان فرق لحاله زهران، وقال: "لماذا لا يغير الشيطان جلده هو الآخر؟"، لم يكن يعلم زهران أن سؤاله العفوي هذا سيفتح عليه أبوابًا لا يتوقعها ولا بدّ له أن يسلكها لا سيما أنّه لبس ثوبًا غير ثوبه.

لمعت عيون زهران بالفكرة وهي أن يهدي إبليس إلى الصراط المستقيم ليدخل الجنّة، أخذ يبحث عن طريقة يجد بها إبليس وخابت طرائقه وسبله، وقال في نفسه: "كيف لي أن أعثر على مخلوق لا يرى بالعين ولا بالميكروسكوب؟"، مع ذلك أجهد نفسه للبحث عنه، وهدفه هدايته، حتى أوصله البحث لطرق باب ساحر يدعي اتصاله بالجنّ، فلم يبلغ مراده، وهكذا تنقل بين عدة منهم، فلم يصل إلى الهدف، وفي ليلة من الليالي ظهر له إبليس، ودون سابق مقدمات قال له وهو يمسك

تلابيبه، بحنق: "ماذا تريد مني؟"، بهت زهران من هول الصدمة، وبالكاد خرجت الحروف من حلقه: "من أنت؟، ومن تكون؟"، أفلت إبليس، تلابيبه وأجابه: "أنا عدوك وعدو أبيك من قبلك آدم"، قالها إبليس وبلع زهران ريقه، وقال: "هل أنت إبليس؟"، أجابه: "بشحمه ولحمه"، بعد أن جمع قواه قال له زهران: "لماذا الحرب بيننا منذ الأزل؟، لماذا لا نعقد صفقة سلام؟، كما تصنع الدول فيما بينها"، ابتسم إبليس في دهاء وقال له: "أجبني بصراحة دون التواء، ما بغيتك مني؟"، أجابه زهران: "بصراحة إني أريد صلاحك وهدايتك"، ضحك إبليس ودوت ضحكته في الفضاء، ورد عليه قائلًا: "وأنا أريد غوايتك"، يجيبه زهران: "لقد كنت ضالًا وفاسدًا فيما مضى، واليوم استشعر لذة الطريق، لهذا أقدم لك دعوة"، نظر الشيطان في عينيه وقال له: "وأنا بالمثل"، قالها ثم أمسك تلابيبه في طيش أهوج: "أعلم أن بيني وبين خالق السماء تحدًا، وأريد إثبات صحة دعواي"، "وما ذاك التحدي؟، وما دعواك؟"، ببرود الثلج أجاب: "مدعاي؟، أن آدم وأبناءه ليسوا خيرًا مني، يستحقون جهنم، بعد أن أثبت عليهم الغواية والضلال"، "لماذا تفكر في جهنم؟، ولا تفكر في الجنّة؟، وحد الله، وسترى الخير العميم"، "أنا خير الموحدين، لهذا رفضت السجود لآدم، فلماذا يفضله الله عليّ وأنا خير منه؟"، "إن الله لم يفضله عليك، فكلاكما من مخلوقاته وصنع يده، إنما أراد امتحانك، واخفقت في الامتحان، إلا أنه بمقدورك أن تتدارك، فلماذا لا تتفوق

على آدم بالطاعة، وتبلغ رفيع الدرجات في الآخرة؟، فالله يقبل التوبة من عباده، وما أنت إلا عبد من عباده، فلماذا لا تكسب الفردوس؟، لماذا لا تغير موقفك؟، كن من عباد الله الصالحين، فالحياة وإن طالت قصيرة".

أخذ الشيطان يحك رأسه، وبعد أن كح، وسعل قال له: "في الحقيقة إن الله هو من أراد لي العصيان لذا عصيته"، "بل أنت من أردت، ولك أن تغير موقفك"، "لا أستطيع"، "بل تستطيع، فلماذا لا ترافقني؟، فأنا أطمع في صداقتك"، ضحك إبليس، وقال: "إنك شاب أحمق يا زهران، وإنك لا تعرفني، ولا تعلم خبثي، ولا أنصحك بصحبتي، حتى لا أجرك معي إلى جهنم"، "بل أنا من يرغب في هدايتك وادخالك معي إلى الجنان"، ضحك إبليس للمرّة الثانية، وقال له: "أنا موافق، وتسرني صحبتك، رغم أن لكل واحد فينا هدفًا مغايرًا عن صاحبه، فلنرى ما يكون في الغد"، مدّ إبليس يده، وصافحه، ثم غادر، وقبل أن يغادر إبليس قال له زهران: "انتظر، لم أدوّن عنوانك، فأين منزلك؟، وكيف لي أن أصحبك؟، فغدًا صباحًا سآخذك معي للمسجد من أجل الصلاة".

ضحك إبليس وقال له: "هل تريد عنواني؟"، قالها مبتسمًا، ثم أعقب: "إبليس ليس له دار ولا عنوان، فهو يتنقل بين البيوت والدور، وليس لديه وقت لينام، ولكن لا عليك فأنت هدف من أهدافي، وسنتقابل قريبًا، لكني لا أظنك تصحو باكرًا لتحظى برفقتي واصطحابي"، أجابه

زهران: "ولما لا؟"، قال له إبليس وهو يرمق أظفاره بهدوء: "لأنك لا تصحوا من لذة أحلامك، فيما أعتقد!"، قال له زهران بوثوق: "وإذا تمكنت من الذهاب إلى المسجد صباحًا؟"، أجابه بهدوء: "حينها ببساطة ستراني، وستحظى بمرافقتي لأثنيك عن فعل الخير"، ضحك إبليس وهو يلوح له بيده، وافترق الرفيقان.

تناول زهران عشاءً خفيفًا، ثم نام مبكرًا حتى يضمن استيقاظه من نومه، فحلم أحلامًا جميلة وممتعة لا نهاية لها، ومع ذلك انتزع نفسه من الفراش انتزاعًا، فلما توضأ، واراد الخروج من منزله، كان إبليس يقف على باب داره يدخن السيجار، فخاطبه بلا مبالاة: "كنت أنتظرك منذ وقت، فلماذا تأخرت وتركتني في هذا الجو البارد؟"، خلع زهران معطفه وأعطاه إبليس، وقال له: "تدثر بمعطفي حتى لا تتعذر بالجو البارد"، تبسم إبليس ولا تزال السيجارة في فمه، وأخذ منه المعطف، ثم قال له والسيجارة تتلوى في فمه يمينًا وشمالًا: "يا لك من صديق طيب، لهذا أرجو أن ترافقني إلى نار جهنم"، قال زهران: "ولماذا لا نترافق إلى الجنّة؟، ففيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، وما لم يخطر على قلب بشر"، قال له إبليس، وهو يسحب نفسًا من سيجارته: "وهل تصدق هذه الأقاويل؟"، أجابه زهران: "كيف لا أصدقها؟، والقرآن يتحدث عنها؟"، قال له إبليس: "وكيف عرفت أن القرآن يقول الحق؟"، يرد عليه زهران بحسم: "لأنه كلام الله"، "وكيف عرفت أنه كلام الله؟"، توقف زهران

لحظة وقال في أعماقه: "يا لك من شيطان يا إبليس تريد أن تغويني عن طريق الحق"، فأجاب إبليس في هدوء: "القرآن كلام الله، لأنه كلام معجز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه".

خلع إبليس المعطف وقال لزهران: "خذ معطفك، وسأنتظر وقت خروجك فلا تتأخر"، سأله متعجبًا: "ولماذا لا تدخل معي لعلّ الله ينزل عليك رحمته؟"، استمر في تدخينه دون اكتراث، وقال: "ألا تخاف أن أشغل المؤمنين عن صلاتهم؟، فأنا كما تعلم لا أصلي، ولا أصوم"، فلما سمع إبليس صوت الأذان وضع أصابعه في آذانه وقال له: "سأعود لك لاحقًا". دخل زهران المسجد، فلما فرغ من صلاته رأى الشيطان ينتظره وهو ينفث الدخان من فمه ومنخريه، قال إبليس لزهران: "ماذا أضاف لك الركوع والسجود غير النصب والتعب؟"، ابتسم زهران غير متعجب من قول إبليس، فقال له في انشراح: "إنك لا تعرف قيمة الصلاة، فإنها تسبب لي راحة لا تدركها يا إبليس".

ضحك إبليس، وقال له بعد أن نفث دخان سيجارته في الهواء: "إن سيجارتي هذه خير لي من صلاتك بألف مرّة، وهي تعطيني الراحة والسلام"، هزّ زهران رأسه في أسف وهو يقول في سره: "كيف لي أن أصلح من تطبع بالشر؟"، خاطبه إبليس قائلًا: "إن كنت لا تصدق، فبإمكاني أن أعطيك سيجارة لترى أن الراحة تفوق ما تتوهمه وتدعيه"، أجابه زهران: "شكرًا يا حضرة إبليس، فأنا لا أدخن، وهي عندي من

المحرمات"، "ومن حرمها؟"، "إن كل ما يضر الإنسان محرم عندي"، "من قال لك أن سيجارتي مضرة؟، إنها من النوع الحلال التي لا ضرر بها، فهي من تبغ الجنّة، واعلم أن الله حين أراد طردي من الجنّة، لم يزعجني غير خسران هذه اللذة المباحة، لهذا قبضت على بعض بذور تلك الشجرة، وزرعتها لأتذوق دخانها على الدوام، وهي لذة لم يدركها آدم ولا بنوه"، قال ذلك، ثم التفت إليه قائلًا: "إن لم تصدقني، فبإمكانك أن تتذوق واحدة، بشرط أن لا تطلب مني غيرها، فهي أثمن ما لدي".

قال له زهران: "أتظنني بهذا الحمق والسذاجة يا إبليس؟، قلت لك أني لا أشربها"، قال له إبليس: "أرجو أن تجيبني، هل خمر الجنّة حرام؟"، قال له زهران: "الخمر في الدنيا حرام، وخمر الآخرة حلال، ويجوز شربه". قال له إبليس: "سؤالي لك كالتالي: هل خمر الجنّة في الدنيا حلال؟"، "خمر الجنّة ليس فيها أثم"، أجابه إبليس: "إذًا فهي حلال لأنها مختلفة عن خمرة الدنيا، كذلك تبغ الجنّة من المحللات، لأنها مختلفة عن سيجار الدنيا"، وعند مفترق طريق قال إبليس وقد بلغ مراده: "سأعطيك واحدة، فإن كذبتني تخلص منها كيفما تشاء، وإن صدقتني ووجدتها خلافًا لما أقول فسأكون لك كما تريد، بشرط أن لا تطلب مني غيرها".

أعطاه واحدة، ثم انصرف عنه دون أن يودعه، أخذ زهران يتفكر في كلام إبليس وهو يقول في أعماقه: "عليّ أن أحذر منه، كما أحذر من

العقرب والحيّة، فليس له أمان"، فلما بلغ داره، قرر أن يتلفها، ويتخلص منها، لكنه أدناها من أنفه ليشم رائحتها، فما إن شمها حتى دارت به الدوائر، وأشعلها على الفور، فوجد فيها مذاقًا لم ير له مثيلًا، وقد وقع في فخ إبليس، فلما أفناها خرج يفتش عن إبليس كالمجنون، فلما رآه أمامه قال له إبليس بعد أن مسح على وجهه: "ما أفلح وجه قط سمع كلام إبليس، كيف وجدت السيجار؟"، قال له زهران: "لقد خدعتني ولا غنى لي عنها، فأعطني غيرها حتى لا أهلك"، قال له إبليس: "قد تشارطنا على أن لا تطلب مني غيرها"، فقال زهران: "لا طاقة لي عن حرمانها، ولا بدّ لي من شربها مهما بلغ ثمنها"، ضحك إبليس وقال متمنعًا: "لن يفيدك الرجاء، وإن كنت مُصِرًّا عليها، فسأعطيك واحدة بشرط صغير"، قال له زهران دون أن يسأله: "أعطني إياها فقد قبلت"، قال له إبليس: "كيف تقبل دون أن تعرف الشرط؟، إن شرطي أن تسجد لي كما سجدت الملائكة لأبيك آدم"، خرَّ زهران من فوره ساجدًا له فلما حركه إبليس رآه قد فارق الحياة.

(12)
اجتماع الجن

في هدأة من اللّيل ظلّ إبليس يرقب النجوم والكواكب في قلب السماء، البدر المنير جذبه للتحديق فيه والتأمل في أرجاء هذا الكون الفسيح، حدّق في مرصعات النجوم وأضواء السحر، والناس غارقون في سبات قرير، تبسم إبليس في لحظة من لحظات الصفاء، وقال في نفسه: "لماذا لم أفكر في هذا الأمر من قبل؟، لماذا لم يخطر في عقلي مثل هذا التفكير النير؟"، طوى أسراره، وأخذ له غفوة قصيرة، فلم يتمكن من الهجوع وكأنه يبيت على حسك السعدان، وظلّ يتلوى في أفكاره، حتى إذا حلّ الصباح أخذ يجمع أفكاره، ويخط محاور اجتماع هام وخطير لكل حاشيته والمقربين منه.

لقد أدرك إبليس أنه كان غافلًا عن أشياء كثيرة، وأن أفضل طريق للتطوير هي المحاسبة ومراجعة المنجزات، توصل إبليس إلى أن الإنترنت سيسهل عليه غواية الكثير الكثير من الناس، لكن رهافته وكونه خلق من مارج من نار لن يمكنه من استخدام الأجهزة المادية، لهذا قرر أن يتشكل على هيئة عبد زنجي، وعليه أن يتخذ له اتباعًا كطريقة (الذباب الإلكتروني)، ويلزم أن يتميزوا بمواصفات خاصة منها

سرعة الفهم، والذكاء الكبير، وأن يكونوا من هواة التطور وقابلين على تحمل أعباء التقنية وشواردها ليواكبوا تطور العصر (زمن السرعة)، لمعت عيونه بالدهاء، فقرع الطبل، ونفخ في البوق؛ ليخبر أتباعه بانعقاد اجتماع طارئ لا يحتمل التأجيل.

أمر إبليس الحرس أن لا يدخل قاعة الاجتماعات إلا الشياطين المقربون والأعوان المخلصون من بني الجنّ، فلما امتلأت القاعة بالشياطين المهمين والمرموقين أصحاب الشارات الثقيلة والإنجازات العظيمة، تنحنح واضعًا منديله على فمه، ثم قال لهم: "السادة الأفاضل، معاشر الرؤساء المحترمين، لا يخفى عليكم تقدم بني البشر علينا من حيث التطور التكنولوجي رغم ما نمتلك من مميزات فريدة، لهذا علينا الالتحاق بأكاديمية الجنّ المتطور"، دار اللغط بينهم، لما سيرهقون من ضرورة التشكل البشري، وأن هذا التشكل سيصيبهم بالتعب والإرهاق، وأن بقاءهم في وضع التشكل هذا لفترات طويلة سيعود على صحتهم الجنيّة بالضرر، فارتفعت أصواتهم بالاعتراض، طلب إبليس منهم الهدوء بعد أن طرق بيده على المنضدة بشدة ليبدد النزاع الدائر، وقال لهم متممًا: "لم نحسم القرار بعد، لهذا نطلب المشورة، والتفكير خارج الصندوق"، قال جنيّ محنك: "أنا شخصيًّا أثني على فكرتك النيرة من حيث التنظير، ولعلّ برنامجًا صغيرًا سيوفر علينا الجهد، وسيغرقنا في الراحة، أتفق معك أن الحرب المقبلة حرب التقانة، ومن يملكها سيملك

السيطرة على سكان أهل الأرض"، قال إبليس: "ثم إننا لم نستطع أن نبلغ الكواكب الأخرى التي يقال أن بعضها به سكان وأرواح"، "هل تفكر في التوسع الجغرافي يا إبليس؟" قال له أحد المعترضين، فردّ عليه بهدوء: "هناك تكهنات أن الأرض ستفنى، وتدمر في نهاية الأعوام الأخيرة، وقد تمكن أبناء آدم من بلوغ القمر، وبعض الكواكب في مجرة درب التبانة كما يقال"، "إن هذا مجرد ادعاء"، قال أحد المسنين، فردّ عليه: "إن هذا أمر مؤكد، وهل تنكر الطائرات والصواريخ؟ التقانة خدمت البشريين ونحن لا نزال على ذات الفكر البدائي".

رفع أحد الأتباع يده وكان في أقصى القوم: "لا ريب أن ما تطرحه هام، وتتفق معه العقول، فليس من الصحيح أن نرى بني الإنسان يتقدمون في الحياة ونحن لا نعتمد إلا على قوانا الخاصة، ولا شك أن التقنيّة التي خدمت البشر ستخدمنا كثيرًا"، اعترض محتج لا يرغب بتغيير النظام: "أنا لا أوافق على تبديل طريقة الآباء والأجداد، ثم إننا أكثر منهم عدة وعددًا"، اعترض إبليس: "كلامك صحيح أكثر منهم عددًا، أما من حيث العدة فإنهم يتقدمون، وأخشى ما لا أرغب في ذكره"، قال جنيّ حكيم: "وماذا تخشى يا إبليس؟، أفصح حتى نتدارك قبل فوات الأوان"، قال إبليس: "صدقت يا حكيم، ولهذا عقدت هذا الاجتماع الهام والمصيري، إن علم بني آدم وتقدمه المعرفي بدأ يرعبني، فماذا لو اكتشف الناس جهازًا يستطيع اكتشافنا وتعقبنا؟"، قال الحكيم: "حينها

سنكون في خطر وورطة"، قال إبليس: "يا بني الجنّ، هل تتذكرون أيام سليمان النبي، كيف أمكنه الله من تسخيرنا إليه؟، إننا مقبلون على أيام سوداء متعبات مرهقات حين يتمكنون من تقانة الكشف الجنيّ، لا سيما أنهم قد بدؤوا باستخدام أجهزة للتعامل مع الأشعة تحت الحمراء والفوق بنفسجيّة"، "أرعبتنا يا إبليس من خطر محتمل"، "لا أظن أنهم سيبلغون أهدافهم قريبًا، ولكن بعد مرور قرن أو قرنين سيكون الأمر متاحًا وممكنًا"، قالها إبليس، فرد عليه جني هلع: "لا تقل ذلك، فالقرآن ضمن لنا أن نرى بني آدم، دون أن يرانا منهم أحدًا"، صرخ فيه إبليس: "إن سر قوتنا في التسلل والاختباء، وليس بيننا وبين الله وعد واتفاق يضمن لنا هذا، صحيح أن بني آدم لا يتمكنون من رؤيتنا بالعين المجردة، ولكنهم ابتكروا أشياء مذهلة حتى أنهم يرون الدوبيات غير المرئية الناقلة للأمراض، ما يسمونها بالميكروبات والجراثيم والفيروسات"، قال الحكيم: "أظن أن الجميع أدرك فداحة الأمر، ولكن السؤال الأهم: ماذا سنفعل؟، حتى لا نندم إذا وقع الفأس في الرأس".

طرق باب غرفة الاجتماع مساعد الطباخ، فتطايرت رائحة الطعام إلى أنوفهم وقال: "وجبة الغذاء جاهزة سيدي الزعيم إبليس"، فلما أدرك إبليس أن أنوفهم متعلقة بما أعده طباخه الخاص قال لهم إبليس: "سأحدثكم بما أخشاه بعد الغذاء"، فلما حلّت الأطباق بما لذ وطاب، وأكلوا، وشربوا، احضروا لهم القهوة الجنيّة والأرجيلة، فبعد أن تناولها

إبليس، وسحب منها نفسين عميقين، ونفثها في الهواء، دارت على الجميع، فاستحال مجلس الاجتماع إلى غابة كثيفة من الدخان الضبابي، ففتحت النوافذ، وأخذوا يبددون الدخان بأيديهم، قال عندها أحدهم بعد أن سعل سعلتين، ودمعت عيناه: "أيها الزعيم إبليس إنك تبشرنا بسنوات الازدهار، لا أتصور أننا نستطيع أن نستخدم المتع والخدمات التي لدى البشر، هل سيكون لنا جوالات وتلفزيونات، وإنترنت وكهرباء لعالمنا؟، إن مجرد التفكير فيه ليدخل علينا السعادة والابتهاج"، تكلم آخر: "أيها الغبي، إذا تحققت تلك الأحلام سنحقق انجازات عظيمة، سنبني المطارات والطائرات، ونبني السفن والغواصات"، قاطعه إبليس: "لقد وصلت إلى ما أخشاه، كلكم تعرفون أن للسيارات حوادث، وإنني سأكشف لكم عن تخوفي، وهو خشيتي في انكشاف الديناميت الجنيّ ، سيأتي يوم يكون بيننا توماس إديسون الجنيّ وألفرد نوبل الجنيّ ، وهذا الأخير ما سيفني عالمنا"، قال الأخير وقد بلغته الأرجيلة بعد أن سحب منها نفسًا طويلًا، ونفثها: "إذًا لنمنع اكتشاف الديناميت، ونعاقب عليه يا إبليس".

قال إبليس: "لم تهضموا الخطر الذي قد يصلنا، إن بني البشر أذكياء، بمجرد اكتشافهم لجهاز يكشف عن مواقعنا سيتعقبوننا فردًا فردًا، ولا ريب أنهم سيتمكنون من التحول الجنيّ سواء بأنفسهم أو عبر ابتكارات روبوتية مختلفة عن الروبوتات المادية، وما أخافه أن

يكون مكتشف الديناميت الجنيّ من بني البشر، لهذا علينا أن نسبقهم لاكتشافه، وقبلها علينا أن نضع الأنظمة والعقوبات الصارمة.

دارت الأرجيلة دورتها وعادت إلى إبليس فقال: "كما أن للبشر سجائرهم الإلكترونية، فإننا كذلك نحتاج لابتكار أراجيلنا الإلكترونية التي تخصنا، سحب ثلاثة أنفاس، واستخرج الدخان من أنفه، وقال: "سيشهد عالم الجن سنوات مزدهرات حين نبدأ بالابتكار والتطوير، لهذا جدوا، واجتهدوا، فمن سار على الدرب وصل".

(13)
الخلاص من الشر

في يده المصحف يقرؤه، ويرى فيه تحريضًا له على الفتك والشر، قال حمدان بعد أن أطبق القرآن: "أليس الشيطان عدوًا؟!، فلماذا لا نتخذه عدوًا، ونتخلص منه؟!"، ثم قال: "الشر في الإطاحة بالشر خير"، وسرعان ما لبث أن دار في خلده التفكير: "ولكن كيف لي أن أعدم الشيطان؟"، قالها وهو يمسك بقلم وورقة، وخاطب نفسه في انتشاء وسرور: "ماهي أروع نهاية للشيطان؟، إنني أبتغي إنهاء فصول مسرحيته بموته، وأرجو أن يكون خلاصه على يديّ هاتين"، فرك يديه وكاد اللعاب أن يتصبب من ثغره وهو يضع طرائق الإعدام ليختار منها الأفضل، قال متفكرًا: "من لم يمت بالسيف مات بغيره".

لم ترق له فكرة سفك دمه بضربة سيف، وتمنى ما هو أشد وأوقع، فهو حدث تاريخي هام وحد فاصل لنهاية الشر على وجه الأرض، فقال مستمرأ: "البندقية أجمل، والمشنقة أحلى، والمقصلة أروع"، صفق براحتيه، وهو يرى أن في جعبته الكثير، فتوقف عن أحلامه لحظة وقال: "قبل أن أحلم بالطرق، لا بدّ أن أقبض عليه أولًا قبل كل شيء"، أدرك صعوبة الأمر، لا سيما أنه لا يراه، فقال: "عليّ أن أمسك به وهو متجسد

في جسد مادي"، ثم قال: "ماذا لو ترك ذلك الجسد، وتبخر إلى جسد آخر؟، فهو عفريت شيطان"، وضع القلم بين أنفه وشفته العليا، وأخذ يتفكر في الأمر، فقال: "الحيلة هي الحل، ولكن كيف؟"، أقر أنه لا سبيل لموافاته وأنه غيب من الغيوب، فقال: "لن أتغلب عليه إلا بمعونة السماء، ولا سلاح أمامي لإيجاده إلا بالدعاء، فهو مخ العبادة وسلاح المؤمن"، ثم قفز يجمع له ما طفقت له ذائقته من أدعية وابتهالات، وأخذ يطيل التبتل والتهجد في محراب العبادة والدعاء ردحًا من الزمن، لكن أمانيه لم تتحقق، فلمّا أحسّ بالضجر، تولد في نفسه الأمل ليحارب اليأس، وقال: "سأفني عمري كله في الدعاء حتى أرى الشيطان، فأخلص العالم من شره".

مع ذلك لم يره، وفي مرّة من المرّات أخذ يتفكر ورأسه فوق الوسادة: "لماذا لا يحقق الله لي مرادي؟، وهو سميع الدعاء"، قال ذلك، وغَطّ في نوم عميق فرأى الشيطان واقفًا أمامه، فألقي في نفسه أنه الشيطان، فلما تقدم له الشيطان وقال له: "لماذا تفتش عني؟، فأنا أعلم أنك ترغب في رؤيتي"، لم يكن يرغب حمدان في مكاشفته؛ لأنه يتمنى مفاجأته بطعنة خنجر أو إلقاء قنبلة عليه يكون فيها هلاكه، غير أن محاصرة الشيطان له جعلته يفضح أمره، فقال بحنق ومرارة: "أريد أن أخلص العالم من شرك"، فقال له الشيطان بهدوء بعد أن أطرق: "هل لي أن أطرح عليك سؤالًا؟"، أجابه حمدان: "اسأل، ماذا تريد؟"، قال

له الشيطان: "هل يخلق الله العبث؟"، أجابه حمدان: "إن الله لا يخلق إلا لحكمة ومحال أن يصنع العبث؟"، فقال له عندها: " إذًا فلماذا خلق الله الشيطان؟"، تلعثم حمدان في إجابته، فأعفاه الشيطان، وأجاب عنه قائلًا: "ببساطة ليميز الله الخبيث من الطيب، فإن الله لا يخدع عن جنته، وإلا لدخل جميع النّاس الجنّة، ولم يسكن في النّار أحد، وما خلق الله النّار إلا لحكمة، ولم يضعها عبثًا من غير طائل، فماذا سيحدث إن قتلتني؟، هل عرفت لماذا أبقاني الله على قيد الحياة؟، هل تظن أن الله يعبث بإبقائي؟، لا شكّ أن وراء بقائي حكمة لا بدّ منها حتى يتم امتحانه الإلهي على أكمل وجه، فلا يدخل الجنّة إلا من أطاعه، ولا يدخل النّار إلا من عصاه، وأتعب خطواتي، هل فهمت الدرس؟ أم أعيد؟".

ظلّ حمدان يتفكر في حديث الشيطان، وأدرك أن وجود الشيطان هام ولا بدّ منه، مع ذلك قال: "ولكنك عدوي وعدو بني آدم، والقرآن يحثنا على معاداتك"، تبسم له الشيطان ورد عليه قائلًا: "وهل قال لك القرآن أحرق أوراق الامتحان؟، إنني امتحان لك ولأبيك آدم من قبلك ولكل ذريته، وإلا لكان الامتحان سهلًا ودخل الناس الجنّة بالمجان، ومحال أن يخدع البشر ربّ العالمين، فلن يدخل الجنّة إلا أهل الصلاح، ولن يكشف أمرهم إلا بامتحان صارم ينخل الجميع دون استثناء بما فيهم أنت، والآن انهض من فراشك فقد حان وقت الصلاة". أفاق حمدان من نومه، وسمع صوت الأذان، فقال: "أمر الشيطان

عجيب، إن له لرأي ومنطق سديد، والأعجب من ذلك كيف يأمرني بالصلاة؟"، نهض من فراشه، وبدأ بالوضوء، كان الماء باردًا والشتاء في أول موسمه، فتدثر بالملابس الثقيلة، وخرج للصلاة في المسجد خلافًا لعادته، وهو حائر كيف لشيطان أن يأمر بالطاعة والصلاة؟، حرّك حمدان سيارته وهو يفرك يديه من شدة البرد، وفي طريق ذهابه رأى رجلًا يتلوى من ضراوة الشتاء يشير له بالوقوف، قال حمدان في نفسه: "لعلّه يريد المسجد، لأكسب فيه أجرًا"، فلما أقله معه قال له الرجل: "جزاك الله خيرًا"، فلما سمع حمدان صوته وكان الرجل مغطى الوجه قد أضر به البرد، قال له حمدان: "إني سمعت صوتك من قبل، ولكن أين؟"، أماط الرجل عن لثامه فإذا به الشيطان كما رآه في المنام، فقال له بعد أن كشف هويته: "أنا أخوك في الخلق إبليس"، اتسعت عينا حمدان من فرط المفاجأة، وقال له: "هل أنت عدو الله إبليس؟"، قال له مصححًا: "بل أنا عبد الله إبليس أيها العبد الصالح التقي"، "ما الذي جاء بك إلى هنا يا إبليس؟"، "ما جئت إلا لأجل الصلاح والإصلاح، فأنا أعرف أهل الجنّة، كما أعرف أهل النّار يا سيادة المؤمن الورع".

فلما بلغا المسجد، وترجلا أضاف الشيطان قائلًا: "وإن شئت اخبرتك بحقائق الناس"، "وهل تعرف حقائقهم يا إبليس؟"، قال له الشيطان: "عليك أن تصلي تحية المسجد أولًا، وسأخبرك بعد فراغك"، دخل المسجد وصلى تحية المسجد، فرأى أن عدد المصلين قليل،

ولم يحضر الإمام بعد، فتقدم الشيطان له، وقال له: "تقبل الله منك، والآن سأخبرك عن من حضر للصلاة فلا تغرك الجباه واللحى"، أنصت إليه حمدان وبشوق قال له: "أخبرني بحقائق الأمور فأنا أكره أن أخدع بالمظهر"، قال له الشيطان: "أنظر إلى هذا المصلي في الصف الأول إنه نمام ويأكل لحوم الناس بالغيبة والبهتان وهو وبال على أهل الأرض"، وبعد أن فرغ من ذمه والحديث عنه، أشار الشيطان بسبابته المنتصبة لرجل يقرأ القرآن، وينتظر الجماعة، فقال له: "أما الثاني، فلا تغرنك قراءته للقرآن، فهو جحود حسود في عينه عود، يحسد كل من وقعت عليه عيناه، فعيونه نار، وخلاص الناس منه خير من بقائه".

ثم دنا الشيطان منه أكثر، وأخذ يهمس له في إذنه عن الرجل الذي أطال سجوده، وقال عنه: "لا يغرنك طول سجود الرجل، فما هو إلا كافر منافق، يظهر للناس خلاف ما يعتقد، وهو مرائي خبيث، لا سبيل لهدايته إلا بإبادته"، ثم أشار بأصبعه ناحية المصلي الرابع، وكان يتضرع رافعًا كفيه بالدعاء: "أما هذا فحذر منه، ولا تغرنك بشاشته وضراعته، فهو مخادع غشاش، يطفف في الميزان، وقد ملأ بطنه بالحرام، ولا يطهر البطن الحرام إلا نار جهنم"، نظر الشيطان إلى الرجل الذي يصلي في الصف الأخير، وأشار له بطرف خفي: "أما ذلك الخبيث، فهو فحاش في القول والفعل، بذيء اللسان يشرب الخمر، وينتهك العرض في الخفاء، ولا خير فيه ولا نفع منه"، ثم أشار الشيطان بحاجبه إلى من

يصلي بجوارهما، وقال: "أرأيت هذا الذي يجاورنا؟"، هزّ الشيطان رأسه أسفًا، ثم أعقب: "إن هذا أسوأ من سابقه، فهو يتعاطى الحشيش والمخدر، ويقتل النفس التي رحمها الله، فما له من علاج إلا بتصفيته".

وعلى ذات النسق أخبره عن بقية المصلين، فلما حضر الإمام، وكبر للصلاة، وأراد حمدان أن يصلي معه، قال له الشيطان بعد أن أمسك يده: "ماذا تريد أن تصنع؟، لم أخبرك بعد عن شأن هذا الإمام ، إن هذا الإمام فاسد فاسق، لا تصح الصلاة خلفه، فهو يبول واقفًا، ولا يغتسل من الجنابة، ومع ذلك يؤم المسلمين للصلاة، ولا يطمح من ذلك إلا غرور النفس واتباع الأهواء".

أمسى حمدان لا يرى أمامه في المسجد إلا المجرمين والأشرار والوحوش البشرية، فقال له الشيطان وهو يرمق تأثره: "أحذر من الذئاب عندما يرتدون ثوب الحمل"، هنا أراد الصلاة ليهرب مسرعًا، فأمسكه الشيطان من يده قبل أن يكبر، وقال له: "ويحك إن فاتك الجمع فلن تحالفك فرصة بعدها أبدًا"، ثم وسوس له قائلًا: "إنها فرصتك يا حمدان، فلا تضيعها"، "وما أصنع؟"، أجابه: "احرقهم بنار الدنيا قبل نار الآخرة، وكبر لهلاك أعداء الله"، ارتعب من فحيحه، وقال منكرًا: "وكيف أحرقهم في بيت من بيوت الله؟"، أجابه الشيطان هامسًا كالفحيح: "أيها المغفل المسكين، إن هذا المسجد تقذر من أبدانهم النجسة الوسخة، ولا تصح الصلاة فيه، ولا سبيل لطهارته إلا بإحراقه

وإراقة الماء فوقه"، أقنعته الفكرة، فقال منتفضًا: "أخبرني، ماذا أفعل؟"، "أنسيت دورق البنزين الذي في سيارتك؟"، فلما فهم مراده، قال: "وماذا أصنع بالبنزين من غير كبريت؟"، صفعه الشيطان على قفاه، وقال له: "يا أبله، خذ الولاعة من ذلك المدخن، فقد نسيها بجوار النافذة، وعجل قبل أن يفضحك الصبح، ويفوتك الأجر العظيم"، ما أتم الشيطان حديثه حتى هرع حمدان كالمجنون، وما هي إلا لحظات حتى أشعل النيران في المسجد والمصلين وكان هو آخرهم.

(14)
نظر محب

في مغارة الشياطين نفخ بوق إبليس معلنًا اجتماعًا يدعوهم إليه على عجل مطلع عام جديد، ما إن اكتمل عقد الاجتماع بحضور كبار أتباعه ورؤسائه حتى قال بعد أن شبك أصابع يديه بوثوق: "لقد اعتدنا أن نجتمع طليعة كل عام لنناقش المنجزات والإخفاقات لما مرّ علينا بعد سنة كاملة، وحتى نوزع المهام الجديدة وفق خطط مدروسة محكمة لضمان جودة سيرورتنا وفق الأهداف والرسالة التي نتوخى السير عليها عامًا بعد عام"، أخذ الجميع يتطلع لما سيقوله رئيس الشياطين إبليس، فهم متأهبون لا يسمع لهم حسيسًا ولا نجوى، وبغيتهم الإنصات لتلاوة الأجندات التي سينفذونها لأيامهم المقبلة، سعل إبليس زعلة خفيفة، ثم أعقب قائلًا: "كما تعلمون أيها الأعزة النجباء أنه قبل عام كانت خطتنا الغواية بفتنة الأبناء والبنين، ومن قبلها الغواية بحب المال، وقبل تلكما السنتين كانت خطة العمل تحت مشروع الفتنة بسفك الدم، أما في هذا العام فستكون فتنتنا مغايرة عما سبق، وهي فتنة الغواية بجمال النساء، وستحمل هذه السنة شعار: (المرأة الغاوية طريق للنّار الحاميّة)"،

قالها، ثم أخذ يضحك، وضحك من بعده أتباعه حين راقت لهم فكرته الجهنميّة.

صفق إبليس صفقتين وعلى الفور أحضر الخادم لوحًا أبيض أخذ إبليس يخط عليه، ويرسم لهم خطوات العمل، فقال بعد أن حدجهم بمقلتيه: "بعون الحيل الشيطانيّة سنقوم بتمشيط بلدان الأرض قارة قارة، ودولة دولة، ومدينة مدينة، لحصر الفتيات الجميلات"، قال له الجنيّ الأعور ذو العين المطموسة المختص بتحريك الشهوات: "قصدك العثور على الفتيات الطعم؟"، أجابه إبليس بعد أن هزّ رأسه بإيجاب: "بالضبط، ولكن يهمنا في المقام الأول أن يكون الطعم رائعًا جذابًا، يغري الناظر، ويسحر الحالم، ويلهب اللهفان"، ضحك ذو الكرش المربوع وقال لإبليس: "راقت لي الفكرة، فكما أن الله أتخذ له في الجنان حور العين، فإننا سنحرك الأحجار والبيادق في دنيانا عبر حور الطين"، أضاف المستشار والساعد الأيمن لإبليس: "إن لنا امتيازًا مغريًا، فما لدينا في دار الدينا مضمون وفي العاجل، وبالإمكان رؤيته والتحقق من جودته، أما ما عند الله وإن كان لا يقارن بما في دنيا البشر، إلا أنه مخبوء لا يرى وهو في الآجل، ومن طبيعة بني آدم توقهم للتمتع الآني على الاستمتاع بما وراء الموت وإن كان خالدًا"، صفق له الجميع، فأضاف جني ذو طول فارع: "وماذا عن الجميلات المؤمنات؟، لا أظن أن لهن نفعًا، فهن سيفسدن علينا الشباب بحثهم على التقوى والزواج

والدعوة إلى الفضيلة"، سكت إبليس لحظة فقال المساعد والمستشار: "لكل قاعدة شواذ، بالإمكان استبعاد المؤمنات الجميلات من القائمة"، لكزه إبليس بمرفقه، وقال له: "أسكت يا أحمق، لم تدع للدهاء والمكر شيئًا، ثم إن هدفنا غواية المؤمنة، فإذا نجحنا في ذلك فإننا سنظفر بغواية الشبان الطامعين في المباهج والمفاتن المستعجلة وما أكثرهم".

في تردد قال المستشار: "هل تظن أننا سننجح في غواية الجميلة المؤمنة؟، لا سيما أن بعضهن ذوات إيمان صلب ودراية واسعة بالدين"، هز إبليس رأسه إيجابًا وقال: "إذا لم نفلح في الغواية، فإننا لا نفلح في شيء، ثم ماذا سنخسر لو ألقينا حجر التجربة؟، كما أن لدينا نخبة من الفتيان البارعين يعلمون من أين تؤكل الكتف؟، وهي فرصة سانحة أن نفسح لهم المجال"، وبعد انتهاء الاجتماع تم توزيع المهام وفق المخطط، وتم تحديد قوائم الغاويات الجميلات، وفي قائمة خاصة رصدت الفتيات المؤمنات ذوات الحسن الباهر، والجمال القاهر.

أسند إلى زعيم فرقة الأبالسة (شهاب الغاوين) قائمة طويلة بالأتباع، وقد أحضر سلة بيض، وأخذ ينادي بأسمائهم ليدخلوا في البيض، وكان عدد البيض ثلاثون بيضة، فأخذ يقرأ بصوت جهور مسموع: "دهار، مطرش، أبيض، مقلاص، ولهان، أقبض"، إلى آخر القائمة، فكلما ذكر اسم شيطان انكمش على نفسه، وانسرب داخل بيضة، حتى أكمل ثلاثين شيطانًا في ثلاثين بيضة، فلما بلغ اسم (أقبض)،

قال له: "لا تغطس في البيضة، فأنت الموكل بتوزيعها في بقاع الأرض، ضع عشرة في المشرق، وعشرة في المغرب، وعشرة في الوسط بين المشرق والمغرب"، فلما حمل أقبض سلة البيض أخذ يرشق به وفق المخطط، تنكسر البيضة، فيخرج الجنيّ أو الشيطان أو العفريت.

بينما كان أقبض يكسر البيض وفق التعليمات، سمعت راضية صوت ارتطام، فأزاحت الستارة، وفتحت نافذتها لتظهر بروعتها الساطعة أمام أشعة الشمس، بهرت روعتها الشيطان الموكل بها والذي اختبأ خلف زهور الياسمين، ونبض قلبه بحُبّها، وتراخى في تنفيذ مهمته، كان هذا الشيطان الشاب يدعى بـ (الحُباب)، الذي ظن أن مهمته سهلة للغاية وهي أن يقوم بالوسوسة لها ثلاث مرات، وينتهي الأمر، فلما رأى جمالها، وما أوقعته في قلبه من حسنها، تراجع للخلف، وقال: "لم أكن أعرف أن في بني البشر مثل هذه الغادة الحسناء، ولا أراها إلا حوريّة هبطت من السماء"، فلما تقدم ناحية النافذة هبت من نافذتها نسمة بنكهة السفرجل، فقال الحُباب: "عرفت سر جمالها من طيب مفرقها، لا ريب أن أباها أطعم أمها السفرجل في أيام حملها".

فلما أراد محادثتها تردد في مخاطبتها وجهًا لوجه، فقررأن يتسلل ويعزم عليها في الحُلم، فلما نامت طرق عليها النافذة فقالت وهي تحلم: "من يطرق باب نافذتي؟"، فتكلم خجلًا بكل حياء: "أنا خادمكِ الحُباب، هل تأذنين لي بالدخول عليكِ؟"، أجابته ولم تفتح له باب

النافذة وهي تغرق في بحر أحلامها: "لم أسمع بهذا الاسم من قبل، فمن أنت؟، ومن تكون؟"، أجابها والحمرة تطوف في وجهه: "أنا شاب من جنس غير جنسكِ، وأنا في مهمة لا أظن أني فاعلها بكِ"، "من أي جنس أنت؟، وماهي مهمتك؟"، "اعلمي أن إجابتي على تساؤلاتكِ تعد خيانة لأسيادي ودون ذلك قتلي، ومع ذلك سأخبركِ فأنا واقع في أسر حُبّكِ ولا سبيل لشفاء قلبي منكِ"، عزف قلبها من حديثه، لكنها تجاهلت، وقالت: "من هم أسيادك؟، ومن أنت؟"، قال لها: "أنا من سلالة الجنّ الطيّار، وقد ألقيت عليّ مهمة غوايتكِ عن دينكِ"، دفعها الفضول لترى كيف يبدو ذلك الجنيّ الشاب الذي وقع في سحر جمالها؟، ففتحت النافذة، فبُهرت بجماله هي الأخرى إذ لم تتوقع أن يكون بين بني الجنّ مثل هذا الجمال، فاحمرّت وجنتاها بلون الزهر، وكتمت إعجابها به، وقالت له: "قلت لي اسمك هو الحُباب، ولكن لماذا تريدون غوايتي عن ديني؟"، فقال لها الشاب وهو يغرق في الخجل: "كلنا جنود إبليس، وهناك مخطط كبير لاستقطاب جميلات البشر لصالحه، وعبر جمالهن سيوقعن شباب الإنس في الخطيئة والمعصية"، قال ذلك، وأخذ يرمق يمينًا وشمالًا، ثم قال: "لقد فضحت لكِ المخطط، وأعرف أن مصيري الهلاك والإعدام، لكني لن أتمكن من أذيتكِ، وسأدافع عنكِ ما دام فيّ روح تنبض بالحياة"، خجلت من حديثه، ولا تدري كيف أوسعت له وقالت: "لا يصح أن تظلّ هكذا في الخارج وأنت ضيفي"، خجل

من كرمها معه، وقال وقد نزع قبعته بأدب: "أشكركِ، رغم أن طموحي أكبر من أن أكون مجرد ضيف عابر"، أجلسته على المقعد وبدأت تدير معه الحوار، تبسمت، وقالت له: "وما هي طموحاتك أيها الحُباب؟"، ابتلع ريقه، وغطى وجهه بيديه وقال: "أن أغدو لكِ زوجًا، هل هذا كثير؟"، تورّدت الوجنتان منها، وقالت: "لم أر جنيًا يتزوج أنسيّة من قبل"، "أعرف أن طموحي أكبر من أن يكون، ولعلّه من المستحيل"، "على العكس، ليس مستحيلًا، فلقد سمعت أن سليمان النبي تزوج من بلقيس، وسمعت أن بلقيس هذه كانت جنيّة أو من سلالة الجنّ، وهذا يعني أنكم أعطيتم فتاتكم لأنسيّ كريم، وليس هناك ما يمنع أن نرد لكم الدين"، قالتها والابتسامة على محياها، ثم قال بعد أن داخله منها السرور: "لم أسألكِ عن اسمك لفرط حيائي منكِ"، أجابته: "راضية، اسمي راضية"، فسألها الحُباب: "هل ترضي بي لكِ زوجًا؟"، أجابته: "راضية، إني بك راضية"، تناول أنامل كفها، وقبلها في وداد، وقال: "لن أنسى لكِ صنيعكِ ومعروفكِ معي ما حييت".

هنا أفاقت من نومها ولم تكن ترغب في الإفاقة، وهرعت إلى النافذة، وشرعت في إزاحة الستار، وفتحت إليه نافذتها فإذا بها ترى الحُباب مطرقًا رأسه منها في حياء، فقالت له: "أيها الحُباب، أرفع رأسك، وهلم إلي"، رفع لها رأسه وعيونه سقطت منها دمعة صدق ومحبّة، فقفز قفزتين رشيقتين، وبلغ محاذاتها، فشهقت متنهدة من فرط

حُبّه، وكادت أن تسقط، فحملها بين ذراعيه، وأجلسها فلم يجلسها إلا على مقعدها الوثير.

رغم محاذرة الحُباب أن لا يراه أحد، إلا أن عينًا كانت تترقبه بين الأشجار، لم تكن تلك العيون إلا عيون صاحب السّلة، إذ لم يكن أقبض الموكل بتوزيع البيض قد انصرف، فلما فطن أن الحُباب لم يغير هيئته، وانتشل راضية بين ذراعيه أوجس أن في الأمر سرًا خلاف المخطط، فهرع لزعيم الفرقة شهاب، وأبلغه بما رأى من راضية والحُباب، فأبلغ الأخير إبليس، فهزّ إبليس رأسه أسفًا، وقال: "هذا ما لم يكن في الحسبان، أن يقع السحر على الساحر".

قال الحُباب لراضية: "إني أشم من الريح شيئًا، فلما فتح النافذة، وتلفت واستنشق قال إني أشم ريح أقبض في الهواء، لا ريب أن أمرنا قد فضح"، فلم تفهم راضية شيئًا، فقال لها: "إن مصيري ومصيركِ الهلاك، ولا بدّ لنا من الهرب، فهناك من وشى بنا عند إبليس"، "ولكن كيف تأخذني قبل أن نتزوج؟"، قال لها: "إني أعرف شيخًا صالحًا في الجوار، علينا أن نهرب قبل الإمساك بنا"، أرسل إبليس سبعة من أتباعة، وقال لهم: "أحضروا لي الحُباب حيًا أو ميتًا، ولا تعودوا إلا به".

بدّل الحُباب هيئته، ودخل على الشيخ الصالح برفقة راضية، وأخبراه برغبتهما في الزواج، فلما أخبراه أن راضية يتيمة فقدت أبويها،

وأنها مسؤولة عن نفسها عقد لهما القران، وخرج بها بغية الهرب، إلا أنه لم يخطُ إلا قليلًا حتى سمع حركة بالجوار، فلما حدّق بعينيه رأى أمامه جنود إبليس يترصدونه بالمقامع والأسلحة.

فلم يكن أمامه إلا أن يُقبّل زوجته وهو يقول لها: "يكفيني منكِ هذه لأقدم لكِ حياتي"، فلما تقدموا ناحيته أخرج لهم سيفه للمبارزة، وهمس لراضية أن أهربي إلى وسط الغابة، وسترين كوخًا من القرميد الأحمر، سيتكفلك الرجل الراعي إذا قلتي له أنكِ من طرف الحُباب"، قاتل الحُباب جنود إبليس قتالًا شديدًا ليمنعهم عن ملاحقة زوجته، فلما نجحت بالفرار، سقط سيف الحُباب، وألقي القبض عليه، وحملوه إلى إبليس، لم يكن إبليس فارغًا، فألقوه خلف قضبان الحديد والنّار، نظر إلى القمر وهو يقول: "روحي فداؤكِ يا راضية، أرجو أن تجدي طريق النجاة".

أرسل شهاب أتباعه لملاحقة راضية، ولم يعثروا لها على أثر، حيث أن الفطنة حالفتها أن تسير فوق الجداول والسواقي لتعفي آثارها حتى بلغت كوخ الراعي ذي القرميد الأحمر، ظنّ الحُباب أن إبليس سيقضي عليه حين مثل بين يديه، لكن إبليس قال للحُباب في هدوء: "أيها الحُباب، أنت من جنودنا المخلصين، فإن كنت ترغب في إعفائك فأعطنا شارتنا التي أكرمناك بها، فهناك من يتمنى حيازتها غيرك"، وضع الحُباب شارته الثمينة أمام منضدة إبليس، وأشار له إبليس بهدوء: "هذا

كل ما سنفعله لك، فاذهب حيث شئت، فأنت حر بحياتك".

خرج الحُباب غير مصدق موقف إبليس، فهمس شهاب لإبليس: "لماذا سرحته وقد خان البيعة؟"، قال إبليس "إن لي هدفًا وراء ذلك، ولا أظن راضية يتمكن منها أحد، ولا سبيل عليها إلا بالمكر والخديعة"، كانت راضية ترمق النجوم، وتتمنى رؤية زوجها الحُباب، فلما أصبح الصباح رأته يتقدم لها برجليه لم تصدق عيونها، فضمته إلى صدرها، وعانقته، قال لها وهو في ذهول: "إني أشكّ في أمر إبليس، ولا ريب أن له مرادًا وراء إطلاقي"، بني الحُباب لراضية بيتًا جميلًا بالقرب من ماء النهر الجاري، ومرّت عليهما الأيام سعيدة هانئة، وذات صباح قالت راضية: "بشارتي ببشارتين، إني أحمل لك ولدًا، فبماذا تكافئني؟"، رقص قلبه، وحملها بين ذراعيه، وقال لها انتظري لآتيكِ بالجائزة، بسرور ودعته، فلما قطع النهر، وجلب لها قطعة ذهبيّة خبأها في حزامه وقع في قلبه سهم ثاقب أرسله شيطان من جنود إبليس، وتناول الخاتم الذي في أصبع الحُباب، وألقاه بين يدي إبليس، كما أوصاه، تناول إبليس خاتم الحُباب، وتأمله، ثم قال: "الآن يبدأ التدبير".

تحوّل بعض الشياطين إلى رجال، ونقلوا لعم راضية أنها خائنة، وأنها حامل من غير زواج، غضب العم، وشكل فريقًا يحمل المشاعل ليقضي على الفتنة في مهدها قبل أن تفضحهم بسوء صنيعها، خرجت راضية حين أحسّت بالخطر على زوجها الحُباب، فلما فتشت آثاره رأته

صريعًا وفي حزامه قطعة الذهب والسهم نابت في قلبه، ظلّت تبكيه بمرارة، فتمثل لها شهاب على هيئة رجل، فعرفت أنّه من الجنّ حين رمقت في يده خاتم الجنّ وريشة طاووس حيث أخبرها الحُباب كيف تعرف الجنّ من سواهم؟، قال لها شهاب: "إن أهلك يبحثون عنكِ لقتلكِ، فلقد وصل خبر إليهم بأنّكِ حامل من غير زوج"، قالت: "هذا زوجي، وأنا أقبل باللّحاق به"، "سنحميكِ إن قبلتي شروطنا"، "أفضل اللّحاق بالحُباب"، صفق شهاب بيده، فإذا بالشيخ الصالح مربوطًا بالحبل مكمم الأنفاس فقال: "بيدكِ نجاته، فهو الشاهد على زواجكِ"، رفضت راضية بالمساومة، فقتل الشيخ أمام عينها دون أن يرفّ لهم جفن، فقال شهاب: "واجهي مصيركِ بنفسكِ"، اختفت عن الظهور وأقاربها يفتشون عنها بالمشاعل لإحراقها، كبر بطنها وكانت تزور قبر الحُباب سرًّا، رآها ابن عم لها، وشاهد بطنها فسدد ناحيتها سهمه فاخترق ظهرها، وسقطت على قبر الحُباب الذي تراءى لها بروحه، فابتسمت حين مَدَّ لها يديه، وحلّق بروحها في السماء.

❁ ❁ ❁

تمت

عبدالعزيز آل زايد

٢/ ٦/ ١٤٤٢هـ

١٥/ ١/ ٢٠٢١م

فهرس المحتويات

القصة	صفحة
الإهداء	٥
(١) مكر العجوز	٧
(٢) الكهف العجيب	١٥
(٣) المرأة والشيطان	٢٣
(٤) حكيم القرية	٣٣
(٥) ريشة رسام	٣٩
(٦) مصرع الحيّة	٤٧
(٧) راهب الجبال	٥٣
(٨) ظلّال الشيطان	٥٧
(٩) صائد السمك	٦٣
(١٠) زورق الساقية	٧١
(١١) هداية إبليس	٨١
(١٢) اجتماع الجن	٩١
(١٣) الخلاص من الشر	٩٧
(١٤) نظر محب	١٠٥

"ولكنك عدوي وعدو بني آدم، والقرآن يحثنا على معاداتك"، تبسم له الشيطان ورد عليه قائلًا: "وهل قال لك القرآن أحرق أوراق الامتحان؟، إنني امتحان لك ولأبيك آدم من قبلك ولكل ذريته، وإلا لكان الامتحان سهلًا ودخل الناس الجنة بالمجان، ومحال أن يخدع البشر ربّ العالمين، فلن يدخل الجنة إلا أهل الصلاح، ولن يكشف أمرهم إلا بامتحان صارم ينخل الجميع دون استثناء بما فيهم أنت، والآن انهض من فراشك فقد حان وقت الصلاة".

9 789921 770827

daradahriah
daradahriah.com
daradahriah@gmail.com